تحقيق وتعليق وتقديم

د/ طه الدسوقي حبيشي

الحقائق الجلية

في الرد على ابن تيمية فيما أورده في الفتوى الحموية

(للشيخ شهاب الدين أحمد بن جهبل الحلبي)

تحقيق وتعليق وتقديم
د . طه الدسوقى حبيشى

الحقائق الجلية

فى الرد على ابن تيمية
فيما أورده فى الفتوى الحموية

(للشيخ شهاب الدين أحمد بن جهبل الحلبى)

مقـــدمة

بقلم / المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين لا نحصى ثناء عليه هو كمـا اثنى على نفسـه والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير خلقه وخاتم رسله بلّغ عن الله ما امره الله بتبليغه واشهد الناس على ما بلّغ فجزاه الله عنا خير ما جازى نبيا عن امته ورسولا عن قومه .

اما بعد . . .

فإن مسألةَ صفاتِ اللهِ على العمومِ ومسألةَ العلوِ على الخصوصِ قد شغلت فِكْرى كما شغلت فكر الآخرين وكانت موضع اهتمامى كما كانت موضع اهتمام غيرى وكنت اظن أن دراسة مثل هذه المسائل قاصرة على فريق من الناس وكان يؤكد ظنى دائما ما كنت أعتقده ومازلت من أن مثل هذه المسائل لم يتوقف عليها ايمان مؤمن ولا اشترطها النبى صلى الله عليه وسلم على احد اراد ان يدخل الاسلام وانما يكفى منه ان ينعقد قلبه على تقديس الله وتعظيمه واعتقاده أن الله ليس كمثله شيء وان يجرى ذلك على لسانه فاذا حدث ذلك من المرء كان بهذا مؤمنا ولم يكلفه احد من السابقين ان يدخل فى تفصيلات الجهة وهل الله عز وجل فى جهة ام لا ؟ لم يكلفه احد بمثل هذا ولم يشترط احد من السابقين على العامة ان يقفوا على حقيقة مثل هذا الامر ولكن ما اشترطوه هو عكس ذلك تماما ، اشترطوا ان يبعد العامة عن علم الكلام وأن يلجموا عنه الجاما لانه أعلى من تفكيرهم ومثير للشبه عندهم .

كلُ هذا الظن وما يقويه قد انتابهما هزة وأخذ بقواعدهما موجة عارمة ظهرت فى كل عصر ولكن بنسب مختلفة وقد عاصرت منها شيئا فيما تردد على ألسنة بعض الناس من وجوب اعتقاد الجهة بالنسبة لله عز وجل وكان يقود هؤلاء القوم بعض المتقدمين فى السن الذين ظهروا بين الناس بمظهر العلماء فرفعوا أمامهم لواء الأخذ بالسنة وهذا طيب ولكنهم ادعوا أنهم فهموا من السنة والكتاب واقوال سلف الأمة مالا يفهمه غيرهم وحاولوا استثارة الشباب الذين هم طاقة الأمة وعدتها وارادوا توجيههم توجيها يريدونه ويقصدون اليه وركزوا فىَ منهجهم على احداث خلل بين الشباب وبين قادتهم من العلماء المتخصصين فى الدين وحقروا العلماء فى أعين العامة وانتزعوا من قلوب العامة انتماءهم الحقيقى لدينهم ولعلمائهم ولأوطانهم بل ولأسرهم واندفع الشباب بحماس يسلكون هذا الطريق تدفعهم الغيرة وتحدوهم محبتهم لدينهم ويوقد فىَ قلوبهم نار الغيرة على هذا الدين ما يرونه من انحرافَ وما يشعرون به من تجاوزات وهم فىَ غيرتهم مشكورون وهم فى حماسهم يبعثون فى نفوسنا الأمل بأن الدين قادم لا محالة ليحكم حياتنا وينظم شئوننا بعد أن مات فى نفوسنا كل أمل الا وعد الله الحق بأنه سيمكن لعباده فى الأرض ويتيح الفرصة كل الفرصة لكتابه كى يتمكن ويحكم ان عاجلا أو آجلا « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » . سورة الحجر آية رقم (٩).

ولقد أخطأت قيادات الأمة الاسلامية حيث تعاملت مع هذا الشباب بطريقة لا يقبلها عقل ولا يقرها منطق فالفكرة فى نفوس الشباب وعامة الأمة لا تقاومها الا الفكرة ولا يعدل من شأنها الا سلطان الحجة لان الله عز وجلَ قد خلق الانسان وله جسم مادى وله أيضا وجدان يتمثل فى الروح أو النفس أو القلب أو العقلَ والجسم المادى يخضع لسلطان المادة اما الجانب الوجدانى لا يخضعه الا سلطان الحجة وحين نتعامل مع انسان اقتنع بشىء ما ونريد أن نقنعه بالصواب المضاد لذلك الشىء فانه لابد أن نستعمل سلطان الحجة

والاقناع . اما البديل وهو ان نستعمل سلطان المادة لتغيير الفكرة فان ذلك يعتبر من قبيل خطل الرأى وسوء التدبير لان نتائجه عكسية وثمرته مرة .

لا شك أن هناك قيادات عملت عملها وأقنعت الشباب وغير الشباب بتصورات خاطئة عن الله عز وجل واقحمت العامة فى مسائل العقائد وتفاصيلها الدقيقة وعرضت عليهم شبه ومزاعم تعلو على ادراكهم من ناحية وهم غير مكلفين بها من ناحية أخرى ، ومزجوا كل هذا بحماسات والفاظ نارية ومناهج اختطوها تمتاز بعنف النقاش والشدة فى اللجاجة لا يقبلون رايا مخالفا ولا ينصاعون لفكرة بديله منطلقين من قاعدة تقول : أن الحق عندهم لا يحتمل الشك ، وان الباطل عند غيرهم لا يحتمل الصواب ، ورفض بعض كبرائهم كل محاولة للتقريب بين وجهات النظر أو اعادة النظر فيما توصلوا اليه أو صرف الذهن عن القتال بالقول والعلو فوق الخلافات التى تورث البغضاء أو الترفع فوق اشياء لسنا مكلفين بها ودراستها توقعنا فى مشكلات نحن فى غنى عنها .

قرأت كتابا محققا ومختصرا كتبت له مقدمة طويلة أخذت اتصفحها المرة بعد المرة فلا يظهر لى منها الا شيخا متقدما فى السن لم يعد النظر فيما كتبه فى شبابه ولم يتخل عن منهج رسمه لنفسه منهج ينال من العلم والعلماء ويهدر كرامة كل قيادة بحيث لا يبقى فى الساحة سواه والقليلون من اتباعه ومهما بذلت له من محاولة ومهما شده غيره باسم الله أن يحافظ على أمته ووحدتها لم نجد منه الا صدا واصرارا على التفريق بين صفوف المسلمين وسانقل لك أيها القارىء العزيز فقرات من هذه المقدمة التى كتبها الشيخ المتقدم فى السن بقلمه يغمز فيها الامة ويلمزها ويصر على التفريق بين صفوفها بعد أن ادخل على القصة من التحسين والتجميل بقيت القصة تدل القارىء الحصيف على انه يأخذ من علماء الامة موقفا . يستثيرهم ليقولوا فان قالوا : أظهرهم بمظهر

التحقير وعدم اللياقة وان خاطبوه بالحق اتهمهم بما عنده على قاعدة — رمتنى بدائها وانسلت — اتهمهم بانهم يريدون المحافظة على ذواتهم والحفاظ على كبريائهم وغرورهم وهذه القصة كما حكاها جرت احداثها فى المدينة المنورة وكان الشيخ جالسا ومعه صفوة من احبابه قال : (واننى لن انسى — ما حييت — تلك المناقشة التى كانت جرت منذ نحو عشر سنين فى المدينة المنورة بينى وبين احد الخطباء والوعاظ الذين يحبون ان يتصدروا المجالس — كذا — ويستقلوا بالكلام فيها ، فقد دخل علينا ونحن فى سهرة لطيفة جمعت نخبة طيبة من طلاب العلم من السلفيين امثالى — كذا — فلم يقم له احد من الجالسين سوى صاحب الدار مرحبا ومستقبلا ، فصافح الشيخ الجالسين جميعا واحدا بعد واحد ، مبتدئا بالأيمن فالأيمن ، فاعجبنى ذلك منه ، حتى انتهى الى وكنت آخرهم مجلسا ولكنى رايت وقرات فى وجهه عدم الرضى — تأملْ — بتركهم القيام له ، فأحببت ان الطف ومع ذلك فبادرته متلطفا معه بقولى وهو يصافحنى : عزيز بدون قيام يا أستاذ ، كما يقولون عندنا بالشام فى مثل هذه المناسبة ، فاجاب وهو يجلس وملامح الغضب بادية عليه — بما معناه : لا شك ان القيام للداخل اكراما وتعظيما ليس من السنة فى شيء وانا موافق لك على ذلك ولكننا فى زمن احاطت فيه الفتن بالمسلمين من كل جوانب وهى فتن تمس الايمان والعقيدة فى الصميم . ثم افاض فى شرح ذلك وذكر الملاحدة والشيوعيين والقوميين وغيرهم من الكافرين فيجب أن نتحد اليوم جميعا لمحاربة هؤلاء ودفع خطرهم عن المسلمين وأن ندع البحث والجدال فى الأمور الخلافية كمسألة القيام والتوسل ونحوهما !

فقلت : رويدك يا حضرة الشيخ (عجيب يستثير القادم ثم يظهره وكأنه ثائر) فان لكل مقام مقالا ، فنحن الآن معك فى مثل هذه السهرية الأخوية لم نجتمع فيها لنبحث [illegible] الخطة لمعالجة المسائل الهامة من الرد على الشيوعيين وغيرهم وأنت ما كدت تجلس بعد ! ثم ان طلبك ترك البحث

فى الامور الخلافية هكذا على الاطلاق ، لا أظنك تقصده ، لأن الخلاف يشمل حتى المسائل الاعتقادية وحتى فى معنى شهادة لا اله الا الله . فأنت تعلم أن أكثر المشايخ اليوم يجيزون الاستغاثة بغير الله تعالى والطلب من الأموات وذلك فما ينافى معنى شهادة التوحيد عندنا جميعا — أشير الى انه فى هذه المسألة معنا — فهل تريدنا أن لا نبحث حتى فى تصحيح معنى الشهادة بحجة ان المسألة فيها خلاف ؟ !! قال : نعم . حتى هذا يجب ان يترك مؤقتا فى سبيل تجميع الصفوف وتوحيد الكلمة ، لدرء الخطر الأكبر : الالحاد و .... قلت : وماذا يفيد مثل هذا التجمع — لو حصل — اذا لم يقم على أساس التوحيد وعدم الاشراك بالله عز وجل ... الخ ما قال) .

سنفترض هنا أن ما قاله على لسان صاحبه كان صحيحا وانه لم يحسن لنفسه ويحفر لغيره وأن الذاكرة فى السنوات العشر الفاصلة بين وقوع الحادثة وتسجيلها لم تلعب دورها وأن الجو العام الذى كتبت فيه الحادثة من سباقها ولحاقها من الكلام المكتوب بقلم الشيخ لم يخالف الجو العام الذى حدثت فيه القصة ، سنفترض ان هذا كله صحيح فاننا برغم ذلك سنخرج بانطباعنا العام وهو نشدان هذا الشيخ وأمثاله شق صفوف المسلمين والتفريق بينهم واشعال نار العداوة فى قلوبهم وأقصى ما يمكن أن نقدمه لهم كمسلمين مأمورين بحسن الخلق حتى فى الخصام . والنقاش اقصى ما يمكن ان نقدمه له أن نقول ان الدافع عنده هو الغيرة على الدين فى حدود معرفته وانه فعل ما فعل وقال ما قال بحسن نية ، الا أن الشىء الغريب هو اصراره على هذا المنهج الذى يفرق بين الأخ وأخيه ويخلخل قضية الانتماء والترابط بين الأجيال ، انه لا يريد أن يثق العامة فى العقلاء والقادة ولا يريد أن يثق الأبناء فى الآباء ولا يريد أن يوقر الصغير الكبير ولا يريد ان تورث التجارب ولا تطلق الطاقات فى الفهم والمعرفة فى اطار قيود الاسلام وفى نسقه الذى يحكم الحياة .

انظر اليه وهو يعمق منهجه فيعرض مثل الشيخ الكوثرى وهو امام لقى من البلاء فى سبيل الحفاظ على دينه وقول كلمة الحق والثبات على المبدأ مالقى يعرضه بمظهر عدو السنة اللدود وخصيمها الذى لا يفتر انه يقول : (وكلام الكوثرى المشهور بعدائه الشديد لأهل السنة والحديث ...) وانى اسأل كل عاقل واتقدم الى كل مفكر وانا شد كل من يعلم شيئا عن الكوثرى من المتخصصين فى علوم الاسلام . هل اشتهر عندهم الكوثرى بعدائه للاسلام والسنة ؟ وهل كان الكوثرى من الشعوبيين الذين لا يكنون للعرب الا كل حقد ولا يحتفظون للاسلام الا بكل عداوة ؟ سبحانك ربى !!

واذا قال عالم من العلماء كلمة حق فى امام له ليس على هوى كاتب هذه المقدمة التى انقل منها الآن صب عليه الشيخ جام غضبه وسلقه بحاد لسانه والب عليه العامة واستثار ضده الشباب .

فالشيخ محمد ابو زهرة المعروف بكفاحه وبراءة قلمة ونصاعة عبارته لم يذنب عند صاحبنا الا أنه كان محبا للكوثرى وكتب مقدمة عنه سجل فيها انه لم يره الا بعد أن عزل من منصبه المرموق فى تركيا بسبب كلمة حق عند سلطان جائر وهاجر من بلده الى مصر فقابله الشيخ / محمد ابو زهرة قبل وفاته بعامين وعرض عليه التدريس فى كلية الحقوق ليفطى مادة الشريعة بعلمه وليأخذ عليه طلاب الجامعه ما يروون به غلتهم ورفض الشيخ ثم رحل الى ربه ، وما كاد صاحبنا يقرأ هذه المقدمة التى كتبها الشيخ / أبو زهرة عن الكوثرى حتى استشاط غضبا وقال : عن الشيخ أبى زهرة ما قال مجافيا أبسط قواعد السنة والخلق الاسلامى الذى يأمرنا بأن نذكر محاسن موتانا على افتراض أن الانتماء الى الكوثرى عيب لا يغتفر وكفر بواح لا ينفع معه الا تجديد الايمان يلمز صاحبنا الشيخ أبا زهرة فى مواضع كثيرة من مقدمته فتارة يعيبه بصداقة الشيخ الكوثرى ومرة يقول عنه — ان كان يدرى ما يقول — الى غير ذلك .

وصاحب هذه المقدمة لم يصبر على عرض الحالات الفردية انه يريد ان يتهم كل عالم بالدين سوى كل متخصص فى الشريعة مثـــله هو وأمثاله انه يريد ان يعمم القول تعميما يستغرق كل من يظن أنهم يخالفونه الرأى وهم جمهور الأمة من علمائها وسوادها وعلى مقتضى عقيدته ان ما عداه مشركون كفره عليهم أن يجددوا العقيدة بأن يعتقدوا بأن الله فى الســـماء وأنه على العرش وأنه استوى عليه استواء حقيقيا وأنه يمكن ان يشار اليه اشـــارة حسية لا تحتمل التأويل ولا تخضع لقاعدة التقديس الى غير ذلك ، فهو يقول عن علماء الأمة الذين يخالفونه ما ذهب اليه (أقول : مع هذا كله ، نرى أغلب الدعاة الاسلاميين اليوم ، لا يقيمون لهذه المسألة ولا لأمثالها من مســـائل الاعتقاد وزنا ولا يلقون لها بالا فلا تسمع لها فى محاضراتهم ولا مجالســـهم الخاصة فضلا عن العامة ذكرا ، ويكتفون من المدعوين أن يؤمنوا ايمـــانا مجمـــلا) .

ثم ينتهى فى النهاية الى التصريح بما يحدد رأيه فيه وفى غيره من أهل القبلة فيقول بعد ذلك : (نعم نحن مؤمنون بالله ... ولكن ايمـــان المؤمنين يختلف بعضه عن بعض أشد الاختلاف) وقد فسر هذا الاختلاف الشديد فى ما ذكره بعد بأنه يشبه الخلاف بين المشركين فى الجاهلية وبين الداخلين فى الاسلام أيام النبى صلى الله عليه وسلم ، فالجميع قد آمنوا بالله ربا ولـــكن الفرق بينهم شاسع والخلاف بينهم يشتد غاية الشدة . سبحان الله ! كيف يجرؤ أحد المسلمين على تكفير اخوانه ؟ ! !

قرأت هذه المقدمة على طولها وأعدت قراءتها لعلى أكون قد اســـأت فهمها ثم قلت فى نفسى أتتبع مسألة العُلويين القائلين بها والمنكرين لها لعلى أجد من ذلك ما يزيل عنى ألم الريب الذى أحدثه فى صدرى مثل هذا الشيخ فتتبعتها فى مظانها وقرأتها بحيدة فانتهيت الى قناعة أريدها أن تكون موضوع الفقرة التالية .

مسـالة العلو بين التصريح والتأويل :

يختلف علماء الأمة حول مسألة من المسائل الهامة اختلافا يظهر بادى الراى انه اختلاف التناظر والتناحر او اختلاف الكفر والايمان . لكن المتأمل خلف الصفوف بعيدا عن حلبة النزاع تكون الرؤية بالنسبة اليه أوضح — فالذى يكون فى الحلبة يمنعه غبارها المنعقد من الرؤيا الشاملة والتقييم العام فهو لا يستطيع أن يجيب الا فى حدود ما تمكنه رؤيته للأشياء ، ورؤيته لا تمكنه الا من القريب منه عن يمينه او عن يساره او امام ناظريه وهذا يختلف عن تقييم أولئك الذين يرقبون هذه الحلبة من بعيد أو من اعلى فان رؤيتهم من بعد تمكنهم من استجلاء الأمر كله والوقوف عليه بتمامه .

وبعد هذا التعقيد نطرح قضية ان يكون الله عز وجل فى جهة او لا يكون بادئين بهذا السؤال . هل يناسب الله عز وجل وقداسته ان يكون فى جهـــة بالمعنى القريب لهذا التعبير ؟ وفى الاجابة على هذا السؤال نجد الآراء المتعددة والاتجاهات المتنوعة ..

ومن بين هذه الآراء راى لا يتحمله عقل ولا تطيقه مشاعر المسلمين وهذا الراى هو الذى يذهب الى ان الله فى كل مكان .

واذا كان أصحاب هذا الراى يقصدون بقولهم هذا ان يكون الله فى كل مكان بعلمه ورحمته وارادته وحكمته ... الخ . فنعم ما ذهبـــوا اليـــه ولا يخالفهم فى هذا الراى احد وان كانوا يعتقدون بأن الله فى كل مكان بذاته فبئس ما فهموا ولا يوافقهم على هذا الراى احد .

اما الراى الثـــانى فهو الراى الذى يذهب الى ان الله منزه عن المكان والزمان والجهات وهم يقولون ان الجهات والأزمنة والأمكنة اشياء وجودية

محسوسة وهى من خلق الله عز وجل والله كان موجودا قبلها . فهو بعد أن أوجدها موجود حيث كان قبل أن يوجدها من غير أن نتدخل فى محاولة فهم كيف كان قبل أن توجد الأشياء ؟ فكذلك لا نحاول ان نفهم كيف يكون بعد أن أوجد هذه الأشياء .

وأصحاب هذا الرأى يسايرون برأيهم الفطرة ولا يتناقضون مع قضية التقديس بالنسبة لله عز وجل التى تحتمها العقول ويفرضها الشعور الدينى قل هذا الشعور أو عظم فى نفوس الذين يشعرون به .

وهناك رأى ثالث فى المسألة خلاصته أن الله عز وجل فى جهة هى جهة العلو وانه على العرش استوى استواء حقيقيا من غير تأويل او صرف للفظ عن ظاهره .

ويستدل أصحاب هذا الرأى بآيات الاستواء الواردة فى القرآن الكريم ، كما يستدلون بآيات العلو والصعود والعندية ويستدل هؤلاء كذلك بالأحاديث التى تؤكد رفع اليدين الى السماء عند الدعاء وقبول النبى اسلام وايمان الجارية التى سألها اين الله ؟ فأجابت فى السماء .

كما استدلوا بأحاديث فيها شيء من الضعف أو أن فى بعض رواتها مقال كحديث الأوعال وحديث اجلاس النبى على العرش الى جوار الرحمن وحديث الكرسى موضع القدمين .. الخ .

والمذهب الثانى والثالث من هذه المذاهب هما المذهبان اللذان وقع بينهما الخلاف على طول التاريخ الاسلامى وعرضه ..

وقبل أن نقول رأينا فى هذه المسألة نحب ان نسجل هنا بعض النقاط الهامة :

١ — فى مذهب القائلين بالجهة جماعة محسوبون على مذهب الامام احمد قالوا ان الله على العرش ووجوده على العرش يستلزم التجسيم ويستلزم انه محصور فى جهة وهؤلاء الذين قبلت مشاعرهم مثل هذا الكلام معروفة أسماء بعضهم فى التاريخ وقد سوأوا سمعة مذهب الامام أحمد ومن هؤلاء ابن حامد الحنبلى وابن الزابونى الحنبلى وابن منده الحنبلى وغيرهم من المشبهة أو المجسمة وقد كفانا اصحاب المذهب الرد عليهم فقد رد عليهم ابو الفرج بن الجوزى فى رسالة بعنوان « دفع شبه التشبيه بألف التنزيه » وقد رد على بعضهم ابن تيمية حيث سخر من طريقة ابن منده فى القول بالتجسيم غير أن ابن تيمية لم يتنازل عن المقولة الاساسية وهى أن الله على العرش استوى استواءا حقيقيا من غير تأويل أو صرف للفظ عن ظاهره .

وبعد استبعاد هذا التجسيم الغليظ واهنه فان المتأمل لكلا الفريقين المتنازعين — الفريق الذى يحيل لفظ الله بالجهة والفريق الذى يصف الله بها يجد أن بينهما نقطا يتفقون عليها :

(أ) انه يجب تنزيه الله عن كل ما يتصف به خلقه فلا تقوم الحوادث به ولا يحتاج هو الى غيره ولا يطرأ عليه التغيير ... الى غير ذلك من صفات الكمال والجلال التى يجب أن يتصف الله بها ونفى صفات النقص التى ينبغى ان يتنزه الله عنها .

(ب) ان كل معنى يفهم من ظاهر النص لا يليق بذات الله عز وجل فان الطرفين متفقان على أن الله منزه عنه وعلى سبيل المثال فان الله قد وصف نفسه بالاستواء على العرش والمعنى الحقيقى لهذا اللفظ يفرض أن ينصرف الفرض الى التجسيم أو المماسة والتحديد أو التحجيم وقد تبرأ ابن تيمية ومن صار على طريقته من القول بهذه المعانى اللازمة من اللفظ فى استعماله الحقيقى وقال انه لا يقصدها ولا يعنيها بل انه ينزه الله عنها ويستعمل فى نفى

مثل هذا اللازم كلمة « بلا كيف » وانه يفهم الجهة لا على انها شيء محسوس وجودى خلق بعد ان لم يكن بل يفهمه على انه شيء عدمى لا يحتاج الى احداث ولا يقبل الفعل فيه ايجادا او اعداما .

والمتامل فى هذه التحفظات اذا قطع النظر عن الألفاظ المستعملة فانه يجد ان ابن تيمية اصبح قريبا من الراى الاول اذ مقتضى هذا الراى ، نفى هذه المعانى غير اللائقة بالله عز وجل عن ان يتصف الله بها — وهنا يتلاقى الفريقان ولكن كل فريق قد عبر عن رايه بطريقة مختلفة ففهم عنه اشـياء استشكلت عند الفريق الثانى فثار عليها بدافع حب التقديس لله عز وجـل ووصفه بما هو اهله ولو أن الفريقين نفضا عن انفسهما غبار المعركة المنعقد ونظر كل فريق الى حقيقة ما يقصد صاحبه لتصافحا فى حب ووئام . ولـكن حكمة الله اقتضت لأمر لا نعرفه أن يحجب غبار المعركة المحتدمة الرؤيا عند كل فريق . فأخذ على صاحبه ما أخذ وتعصب لمبادئه واضطر الى استعمال عبارات واستثار اخرى عمقت الفجوة بينه وبين قرينه . ومما يزيد الجرح ايلاما ان يأتى اتباع كل فريق والذين عز عليهم العلم فلم ينالوه وبقى عندهم حماسة متعصبة أو عصبية متحمسة من غير ان تستضىء بنور العلم والذى ليس له زيت ولا فتيل الا بذل المجهود فى القراءة والاطلاع وليس لنا الا ان ندعو ثم ندعو هؤلاء القوم الى ان يعودوا الى مصادرهم الاصلية فيفهموها بدافع الاخلاص لهذا الدين والحرص على تلك الأمة عند ذلك فقط يمنح الله عباده من الفضل ما يريد .

— العصبية للمذاهب طريق الى الذل :

ومما رايناه تبين لنا ان الخلاف قد يكون يسيرا هينا يزداد بالمناظرة وتحميل الالفاظ مالا تحتمل من المعانى عمقا وغورا .

واكثر ما يعمق الخلاف ويبعث على الشقاق التعصب لرأى من الآراء بغير تفكير ، والدفاع عنه بكل وجه ممكن صواب كان هذا الدفاع او خطأ .

ولقد سجل التاريخ القريب والبعيد لونا من العصبيات المورطة سواء كانت هذه العصبيات لمذهب ينتمى اليه المتعصب او كانت لفكرة ورأى ارتاه المتعصب . وليس على استعداد لمناقشتها او فحصها من جديد اذ ان مناقشتها من وجهة نظره انما تعنى الشك فى قدراته ومكونات شخصيته العلمية هذه الشخصية التى قدر لها شىء من الانتشار او الذيوع لسبب أو لآخر .

وأيا كان لون التعصب أو نوعه فانه يهدر قيمة الحق ويسلبه كل مقدرة على الدفاع ولو الى حين . الا ان الجولة الاخيرة غالبا ما تكون للحق فانه ابلج وقوى وله من الله نصره وكلائه : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون » الانبياء — ١٨ .

وحين ينتصر الحق أو يقاتل الباطل فاننا نرى التاريخ يسجل الاحداث ويسطرها بامانة وصدق ويتوارثها الاجيال جيلا بعد جيل وهى تترائى لهم متمايزة يسطع نور الحق فيها ويظهر من غير تشويش أو تغبير فى وجهه ويظهر الباطل فيها كئيبا متواريا حيث فقد الحماسة التى كانت تربض خلفه وتمهد له الطريق فى الظاهر وتشعل له فتيل الحقد الذى لم يلبث ان ينطفىء ويبقى رماد الفتيل اذى فى العيون والصدور .

ونحن ننقل هنا بعض هذه التجاوزات التى اثارها التعصب للمذاهب وربض خلفها حتى ظهرت مترائية للعيان ونختار للتمثيل ما وصل الى الذروة

وتربع القمة كتب العلامة الشيخ احمد بن حجر بن محمد آل اطامى آل بن على كتابا فى التأريخ للشيخ الجليل / محمد بن عبد الوهاب وقدم للكتاب السيد / على صبيح المدنى .

وقال مقدم الكتاب فى مقدمته فيما قال عبارة هذا نصها : (.. ثم بعد انقراض رجال القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية ، دب فى المسلمين داء التنافس على الرئاسة وحب الدنيا ، فتفرقت كلمتهم ، وتبدد شملهم ، فذلوا بعد عزة ، وضعفوا بعد قوة ، فأصبحوا مسودين بعد أن كانوا سائدين ومحكومين بعد ان كانوا حاكمين وفقدوا كل شىء حتى تعاليم دينهم الحنيف ولا سيما توحيد رب العالمين ، فاشرأبت أعناق الشرك ، وزين لهم الشيطان سوء اعمالهم ، فأحلوا البدعة محل السنة ، والشرك محل التوحيد ، ومازالوا كذلك غارقين فى بحار الوثنية والشرك الا من شاء الله ، الى أن قيض الله لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها ألا وهو شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب) .

أنظر اليه وهو يحكم بالكفر الصراح على جميع أفراد الأمة على طول قرون طويلة ولم ينج من هذا الحكم الا قلة نادرة لا نعرفها ولم يصرح هو بها وعليه فان القرآن والحديث وآثار الأمة قد نقلها كافر عن كافر وكيف نأمن على تراثنا أن ينقله الكافرون ولو ان مستشرقا أوتى من الوان البراعة فى القول والقدرة على التدليس ومقدرة تزييف التاريخ ما استطاع أن يحكم هذا الحكم ولاجروء عليه لانه يعلم علم اليقين أن من يقرأ هـذا الحكم سيدهش ثم بعد أن يفيق من دهشته يستهتر ثم يسخر ويسخر .

ومن المقدمة الى داخل الكتاب نجد عجبا من العجب . نجد مؤلف الكتاب يعقد مقارنة بين اثنين هما عنده فى مرتبة واحدة محمد بن عبد الله الذى أوحى اليه ﷺ ومحمد بن عبد الوهاب انهما عند الكاتب فى مرتبة واحدة يمكن المقارنة بينهما . ثم يقارن بين عصرين عصر الوثنية والشرك أيام الجاهلية الأولى

والذى جاء محمد ﷺ لاستنقاذ الناس منه وعصر سبق محمد بن عبد الوهاب جاء هو الآخر ليقوم بنفس الوظيفة فى عصر أخذ نفس الخصائص لا فرق بين الرجلين ولا فرق بين العصرين وساكتفى بايراد بعض العناوين من الكتاب لاننى فى عجلة وفى عجالة تمنعنى العجلة من الاستقصاء وتمنعنى العجالة التى خصصتها لمقدمة كتاب أن تكون هى المقصودة بالذات وأن يكون الكتاب قد قصد اليه قصدا ثانويا ومن عناوين الكتاب المذكور أجتزء لك هذا البعض الذى اعتبره أمثلة جزئية تغنى عن استقصاء كل مثال (المشابهة بين عصر الرسول ﷺ ودعوته وبين عصر الشيخ ودعوته — تشابه العصرين حيث ساد فى كل منهما فساد الأخلاق والعقائد والعبادات — بعث النبى ﷺ بعد فترة من الرسل ، ووجد الشيخ على فترة من العلماء المصلحين — كل منهما دعا الى التوحيد ونبذ الشرك ، وأوذى وهاجر الى بلاد لقى فيها أعوانا ومحبين — قصة سراقة لما ساخت قوائم فرسه ، ونظيرها الذى أراد قتل الشيخ فتهالكت يده — عرض كل منهما نفسه على القبائل ؛ وما اعترض حياتهما من الأخطار — غزو كل منهما بنفسه ومراسلته الملوك للدعوة — كل منهما ابتلى بأعداء وخصوم ثم انتصر عليهم وأتوا اليه مذعنين) هـذا بعض من كل وغيره كثير .

وهناك لون آخر من التعصب هو التعصب للفكرة ظانا من صاحبها ان التراجع عنها . ينال من شخصيته ويخدش كبريائه .

وهذا اللون من التعصب يترتب عليه من الآثار ما يشبه اللون الأول فقد تطلق الاحكام جزافا من غير نظر فى الأجزاء اللفظية المكونة لهذه الاحكام ولا نظر حتى فى مدلول الجمل التى تستعمل فى هذه الأحكام ولا اعتبار بمكانة الأشخاص المحكوم عليهم من التاريخ الاسلامى وجهودهم المخلصة فى تربية الأجيال والحفاظ على العلم :

لقد ذهب ابن تيمية فيما ذهب اليه بالقول بالجهة ورفض مبدأ التأويل وتغطية ما يلزم من اللوازم التى تتنافى مع مرتبة الألوهية بمبدأ البلكفة (بلا كيف) .

اما خصومه فى هذه المسألة فهم عنده (... انباط الفرس والروم وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة ...) .

ولا يعجز ابن تيمية عن إبتكار سند على طريقة المحدثين قد بذل فيه اقصى طاقته واستعمل فيه اشد الاساليب فى الحيلة والبراعة فمكرة نفى الجهة قال بها جهم بن صفوان عن الجعد بن درهم عن ابان بن سمعان عن طالوت بن اخت لبيد بن الاعصم عن لبيد بن الاعصم اليهودى الذى سحر النبى ﷺ ... الخ ما قال .

ونحن بنظر فى هذا السند العجيب المؤصل بغير دليل نجد ان هنالك امورا لم تكن لتخفى عن ابن تيمية ولا نظن الا انه قد قصد اليها قصدا حتى ولو كان يزيف التاريخ الا ما احمق التعصب وما اخطره على ميزان الصدق والعدالة .

. ومن بين هذه الامور التى جازف ابن تيمية بها إنه جمع اليهود والنصارى والفلاسفة على القول بنفى الجهة وتنزيه الله عنها وهم يحتجون أي الفلاسفة واليهود والنصارى بان الجهة تستلزم التجسيم والتشبيه والله منزه عن ذلك .

ولو اننا سلمنا بان الفلاسفة قد بالغوا فى التنزيه ويحتمل ان تأتى هذه المقولة منهم فهل نستطيع ان نقول ان اليهود والنصارى قد اخذوا بمبدأ التنزيه ونزهوا الله عن الجسمية ورفعوه فوق التشبيه ؟ ! . لو سمع اليهود والنصارى هذا الكلام من ابن تيمية لما قبلوه ولما وافقوه عليه لأن مثل هذا الكلام يخالف ما جاء فى كتبهم المقدسة التى طرأ عليها التبديل

والتحريف ويخالف ما توارثوه عن آبائهم واجدادهم وهم ليسوا على استعداد للتنازل عن تراث الآباء والاجداد وما اعتقدوا فيه القداسة من النصوص والشروح من اجل اشباع رغبة طارئة على فكر شخص حتى ولو كان هذا الشخص هو ابن تيمية .

ثم هذا السند الذى اعتمده ووثق فى رجاله الى ما اوصله ؟ الى أن تكون هذه الفكرة يهودية بالدرجة الاولى ؟ سنوافقه ، ما الذى ضم الى اليهود النصارى ؟ وما الذى ضم اليهم الفلاسفة ؟ ومن الذى دعى اليهم الصابئة الذين نشأوا فى حران واقاموا بها ؟ وهو بحران ابصر .

مسائل ومسائل واعضال واعضال واستفهام يأتى بعده استفهام ولا حل ولا جواب سوى ان ابن تيمية تورط بدافع العصبية فى الخوض فى اعراض الامة مولغ فيها وشرب من دماء كبرائها حتى روى واتباعه من بعده لا يريدون أن يتركوا منهجه .

والشىء العجيب ان ابن تيمية حينما سلك هذا المسلك قد عرض نفسه الى الموازنة والتقدير والحكم على فكره قياسا لمبادىء الاسلام واختلفت الناس فى تقدير ابن تيمية فى حياته فمنهم من حسن به الظن واعتبر خروجه عن الاجماع محاولة لاثبات الشخصية التى خلقها حوله اتباعه ودفعه اليها المخلصون من العلماء للاسرة التى ينتمى اليها ابن تيمية حيث كانت اسرة علم وفقه تقدر العلماء ابن تيمية وهو حدث صغير فاغتر بمكانته وتورط فيما تورط فيه من المخالفات العلمية والجراة المنهجية والنيل من علماء الامة .

وهذا المرض النفسى لا يؤدى الى تكفيره بقدر ما يبعث كوامن الشفقة عليه .

أما الاتجاه الثانى فان أصحابه يرون انه لا داعى للبحث عن كوامن الصدور وانما لابد أن نأخذ بظاهر الأمر وظاهر الامر عند ابن تيمية انه مجسم فى العقائد ينسب الى الله ما لا يليق به وهذا يؤدى الى كفره وما ذكره من مبدأ البلكفه ستار لا يعفيه من الحقيقة المرة التى تدمغه بالكفر والزيغ انهم يرون أن لا فرق بينه وبين ابن حامد وابن الزاغونى وابن منده الا أن هؤلاء الثلاثة وأمثالهم قد عبروا عما يريدون صراحة ، أما ابن تيمية فقد حاول أن يستر نفسه بمبدأ البلكفه .

وقد حكم العلماء والفقهاء عليه بالقتل لأنه مرتد الا فقيه الشافعيـــة الذى ذهب الى ان الانسان قد ينطق بالكفر ولا يكون به كافرا وعليـــه فان ابن تيمية ليس مرتدا فنجا ابن تيمية لذلك من القتل .

ونحن هنا لسنا حكاما أو دعاة خلاف وانما نصور التاريخ على ما كان عليه ونحن أميل الى تبرئه ابن تيمية من الكفر وأميل كذلك للاعتراف لابن تيمية بجهود فى الفقه والفروع ونضال فى مجال الاجتماع والمحافظة على أبناء عصره الا أننا لا نبرئه من حدة الطبع وسرعة القول والخطأ فى المنهج أحيانا والنيل من علماء الأمة ، الامر الذى أثار حفيظة الأمة عليه الا قليلا من اتباعه .

ومن هذا الرصيد الفكرى نقدم اليوم الى القراء ردا على أحد مؤلفات ابن تيمية وهو « الفتوى الحموية » التى تعالج قضية اثبات الجهة بالنسبة الى الله عز وجل وهى تحمل كثيرا من خصائص منهج ابن تيمية وقد رد عليها فى حينها فى رسالة نفيسة الشيخ / شهاب الدين بن جهل ، ننشر هـــذا الرد وهو رد معتدل يصطنع الحجة ولا يأخذ بمبدأ العصبية ويكتب وهو هادىء الأعصاب ولا يجعل رائده التوتر العصبى وتوزيع الشتائم هنا وهناك . ننشر هذا الرد ونترك المجال للقارىء ليوازن ويحلل بنفسه فنحن نثق بعقله ونقدر فى ميزان العدالة حكمه .

— ابن جهبل فى سطور :

هو الشيخ / شهاب الدين ابو العباس احمد بن محيى الدين بن تاج الدين بن اسماعيل بن طاهر بن نصر لله بن جهبل الحلبي الاصل ثم الدمشقى .

درس فقه الشافعية وتضلع فيه وامتدحه فيه كثير من المؤرخين كالذهبى وغيره ودرس الفقه منذ نشاته الاولى على ابى الفرج عبد الرحمن بن الزينى المقدسى وابى الحسن بن البخارى وعمر بن عبد المنعم بن القواس واحمد ابن هبة الله بن عساكر وابن الوكيل وابن النقيب وغيرهم .

ولكنه لم يكتف بدراسة الفقه بل اتجه الى الحديث ودرسه وحفظه وتحمله واداه فسمع الحديث عن الفخر والفاروثى وغيرهما .

وقال ابن حجر عنه : حدثنا عنه بالسماع شيخنا البرهان الشامى .

ولقد عمل بالتدريس متنقلا من مدرسة الى اخرى فدرس اولا بالصالحية بالقدس مدة وهى المدرسة الصالحية التى تنسب الى الملك الناصر صلاح الدين فاتح بيت المقدس وبانيها نور الدين محمود بن زنكى الشهيد ، ثم تركها وانتقل الى دمشق فعمل بالبادرائية ، والبادرائية مدرسة بدمشق بمحلة العمارة الجوانية أمام حمام اسامة المعروف بحمام سامية ، على نحو ما ورد فى وصفها بمناداة الاطلال ٨٧ ، وهى مدرسة وقفها على تدريس العلم عبد الله بن ابى الوفاء محمد بن الحسن ، وكان عمل ابن جهبل بالبادرائية كخليفة للشيخ برهان الدين ثم تركها بعد فترة وانتقل الى الظاهرية حيث ولى مشيخة الحديث بها ثم تركها وتولاها بعده الذهبى المشهور .

ولقد كان ابن جهبل زاهدا ورعا فلم ياخذ اجرا على التعليم فى اى مدرسة من المدارس التى عمل بها وشهد له بذلك معاصروه حيث قال عنه ابن كثير : « كان من اعيان الفقهاء ولم ياخذ معلوما من البادرائية ولا من الظاهرية » .

وإذا كان ابن جهبل ورعا فى سلوكه فلقد كان غالى الهمة فى مطالبه كبير النفس عالما شهد له اقرانه بعلمه حتى ولو كان بينهم وبينه خلاف فى الراى قال عنه الذهبى : « كان فيه خير وتعبد وله محاسن وفضائل وفطنة فى العلم بالفروع » .

ونقول وكان له كذلك علم بالأصول وما بين يدينا من مؤلفاته يشهد له ببراعته فى هذا المجال وانكار الذهبى عليه ذلك انما اتى لخلافه له فى الراى وكثيرا ما كان يفعل ذلك الذهبى مع مخالفيه فى الراى .

وايا ما كان الأمر فان ابن جهبل ظل على حاله من الورع والفطنة والذكاء وطلب العلم وبذله الى ان توفى قال ابن الكتبى : « كان عالما ورعا ولما مرض تصدق كثيرا حتى بثيابه » .

ولد سنة ٦٧٠ هـ ومات رحمه الله يوم الخميس بعد العصر التاسع من جمادى الآخرة سنة ٧٣٣ هـ وصلى عليه بعد الصلاة ودفن بالصوفية وكانت جنازته حافلة .

— أضواء على مؤلف ابن جهبل :

لقد كان ابن جهبل معاصرا لابن تيمية ومشاركا له فى وطنه بحيث كان قريبا من نبض قلبه يسمع كلامه فى اوله ويقرأ ما يكتب حين يصدر عنه وبحكم انه كان عالما بالعلوم الشرعية اصولها وفروعها ومصادرها كان يستطيع ان يقيم عمل ابن تيمية وفكره وان يبدى رايه فيما يصدر عنه ويكون رأيه من بين الآراء التى لها قيمة لا تقبل الاهدار ولا الانكار .

وكثيرا ما كانت له آراء فى ابن تيمية ضمن مجمع الفقهاء الذين كانوا يجتمعون للحكم على ابن تيمية وتقييمه من خلال أعماله ولكنه قد ترك لنا هذه المخطوطة التى نحن بصددها الآن اثرا مكتوبا اطال ابن جهبل فيه النفس

وتتبع عمـــلا من اعمال ابن تيمية المنشورة « الفتوى الحموية » التى خطها ابن تيمية وبذل فيها الجهـــد وافرغ الطاقة لكى يثبت ان الله فى جهة من الجهات هى جهة العلو على طريقة غيره من قرنائه الذين سبقوه وتقدموا عليـــه وهم قلة تورط بعضهم فى مسالة التشبيه والتجسيـــم ولم يتركوها يستنبطها غيرهم من مذهبهم وتكون لوازم من لوازم المذهب يمكن انكاره ان اراد اصحاب هذا المذهب ان ينكروه ولكنهم صرحوا بهذه اللوازم وبينوا انه لا مانع من ان يكون الله جسما متحيزا شبيها بخلقه .

ولقد تابع ابن تيمية اصحاب هذا المذهب وان كان لم يتحمل أن يصرح بهذه اللوازم من التشبيه والتجسيم ويعتبرها مذهبا له فنفاها بمبدأ البلكفه ولودع هذه الفكرة بتمامها مع نفى لوازمها كتابه الموسوم بـ «الفتوى الحموية» وراى ابن جهبل انه لابد من الرد على هـــذا الكتاب ورصـــد ما يصـــدر عن ابن تيمية بعدة من الكتب فى مسائل العقيدة والرد عليه ان قدر له ذلك فانشا رسالته فى الرد على ابن تيمية والتى هى بين يدينا الآن ووعـــد انه سيرصد فكر ابن تيمية بعد ذلك فى العقائد ولكنى لم ار له تعليقات على غير هذا الـــكتاب .

ولقد حظيت رسالة ابن جهبل فى الرد على ابن تيمية باهتمام القدماء والمحدثين فاهتم بها فى القديم المؤرخون له وكتاب سيرته الذين يقـــدرون للعلم قدره ويعترفون للرجل بقيمته .

ولقد نقلها الامام السبكى بتمامها ووقعت عنده فى مخطوطة طبقات الشافعية فى نحو كراستين وطبعت ضمن كتاب « طبقات الشافعية » وضمها الجزء التاسع من هذا الكتاب غير أن خروجها فيه لم يعنى محقق الـــكتاب باشياء كثيرة ولم يبـــذل فيها من جهد سوى مقابلة نصـــوص المخطوطات وتخريج الآيات فقط وهو جهد مشكور يحمد لمن قاما بتحقيق هذا الـــكتاب « أعنى طبقات الشافعية » لكن تبقى الرسالة تحتاج الى خدمة والى أن

تظهر كمؤلف مستقل يخدم غايته ويروم هدفه ولقد اشار فى العصور المتأخرة اصحاب الفضيلة العلماء لهذا الكتاب ونوهوا بفضله فبين الشيخ الكوثرى أثناء تحقيقه لكتاب « السيف الصقيل » فى الرد على ابن زفيل وهو كتاب مؤلف للرد على ابن القيم فى نونيته وحققه الكوثرى واثناء تحقيقه وتعليقاته اشارة الى رسالة ابن جهبل وبين انها تستحق ان تكتب بماء الذهب لنفاستها .

واطلع على هذه الرسالة وقرظها الشيخ سلامة القضاعى ونقل منها فقرات قدم لها بهذه الكلمات بعد أن عرض مذهب ابن تيمية فى القول بالجهة ولوازمه وذكر المشاركين له فى المذهب قال : « ... فانتدب العلماء — شكر الله سعيهم — فى عصره وبعده — لتصنيف المصنفات المتمة المؤيدة بالبراهين الصادعة بتنزه الحق تعالى عن الجسمية ولوازمها وتزييف تلك الاوهام التى نسجها خياله ، منهم العلامة شهاب الدين احمد بن يحيى الكلابى المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، صنف رضى الله عنه رسالة قيمة فى الرد عليه فى القول بالجهة ، افاد فيها واجاد ، وقد نقلها التاج السبكى فى طبقاته بحروفها لتستفاد ولا بأس ان نذكر لك قليلا من عباراتها لتعرف كيف نظر العلماء المحققون المحدثون كهذا الشهاب رضى الله عنه الى اهل هذا المذهب الزائف » ثم نقل عبارات مطولة من كتاب ابن جهبل الذى هو موضع عنايتنا تحقيقا وتعليقا والذى نسأل الله ان ينفع به وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه .

دورنا فى هـذا المؤلف :

لقد سبق ان نوهنا الى ان هذه المخطوطة قد عنى بها المحققان اللذان انتدبا نفسيهما لتحقيق كتاب طبقات الشافعية بعض العناية فلهم من الله الأجر والمثوبة ، لكننا رأينا أن الكتاب ما زال يحتاج الى جهد فجعلناه موضع العناية منا والاهتمام خصوصا أن الزمان يحتاج الى اخراجه وأن علماء

تظهر كمؤلف مستقل يخدم غايته ويروم هدفه ولقد أشار فى العصور المتأخرة أصحاب الفضيلة العلماء لهذا الكتاب ونوهوا بفضله فبين الشيخ الكوثرى أثناء تحقيقه لكتاب « السيف الصقيل » فى الرد على ابن زفيل وهو كتاب مؤلف للرد على ابن القيم فى نونيته وحققه الكوثرى وأثناء تحقيقه وتعليقاته اشارة الى رسالة ابن جهبل وبين أنها تستحق أن تكتب بماء الذهب لنفاستها .

واطلع على هذه الرسالة وقرظها الشيخ سلامة القضاعى ونقل منها فقرات قدم لها بهذه الكلمات بعد أن عرض مذهب ابن تيمية فى القول بالجهة ولوازمه وذكر المشاركين له فى المذهب قال : « ... فانتدب العلماء — شكر الله سعيهم — فى عصره وبعده — لتصنيف المصنفات الممتعة المؤيدة بالبراهين الصادعة بتنزه الحق تعالى عن الجسمية ولوازمها وتزييف تلك الأوهام التى نسجها خياله ، منهم العلامة شهاب الدين أحمد بن يحيى الكلابى المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، صنف رضى الله عنه رسالة قيمة فى الرد عليه فى القول بالجهة ، أفاد فيها وأجاد ، وقد نقلها التاج السبكى فى طبقاته بحروفها للمستفاد ولا بأس أن نذكر لك قليلا من عباراتها لتعرف كيف نظر العلماء المحققون المحدثون كهذا الشهاب رضى الله عنه الى أهل هذا المذهب الزائف » ثم نقل عبارات مطولة من كتاب ابن جهبل الذى هو موضع عنايتنا تحقيقا وتعليقا والذى نسأل الله أن ينفع به وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه .

دورنا فى هـذا المؤلف :

لقد سبق أن نوهنا الى أن هذه المخطوطة قد عنى بها المحققان اللذان انتدبا نفسيهما لتحقيق كتاب طبقات الشافعية بعض العناية فلهم من الله الأجر والمثوبة ، لكننا رأينا أن الكتاب ما زال يحتاج الى جهد فجعلناه موضع العناية منا والاهتمام خصوصا أن الزمان يحتاج الى اخراجه وأن علماء

الأمة ومثقفيها يحتاجون الى مثله حيث أن قضية اثبات الجهة قد فرضت الآن بلوازمها على الخاص والعام وعلى العلماء والدهماء ولأمر غير ديني وجدنا ان هذه الفكرة قد ازيح من طريقها كل منافس لا بطريق الاقناع وانما بطريقة الوأد والقتل غير المشروع .

وهناك بعض المناهج حديثا تقر مبدا من لم تستطع اقناعه فاعمل على ازاحته والازاحة اسهل من الاقناع خاصة اذا كان الاقناع بالضد مستحيلا .

راينا والظروف كما ترى أن تخرج هذه الرسالة ليوجد مع اخراجها مناخ ملائم للمقارنة والموازنة حتى لا تبقى الساحة وفيها قول واحد ربما لا يكون هو الصحيح فيعتذر المعتذرون من الذين تعلقوا بهذا القول واخذوا به ويقولون ماذا نعمل وقد صادف هذا القول قلبا خاليا فتمكن .

١ — ولقد وجدنا هذه الرسالة بغير عنوان وبحثنا لها عن عنوان يكون صاحبها قد وضعه لها فلم نجد لها عنوانا فى جميع المصادر التى اشارت اليها فرأيت أن انتقمص شخصية المؤلف واعيش عصره واحاول ان اقرأ مؤلفه واهضم أفكاره ثم اخلص من الاتجاهين — من تقمص شخصية المؤلف وفهم عصره وهضم المؤلف والوقوف على مسائله — الى عنوان للكتاب يناسب المؤلف وعصره ويناسب المؤلف وموضوعاته فوقع الاختيار على العنوان الذى وضعته مرآة لهذا الكتاب الذى بين يديك ثم رأيت ان المؤلف قد أحسن وأجاد حين حصر مسائل الكتاب فى مقدمة ذكر فيها العقيدة الصحيحة وقسم أول تتبع فيه كلام ابن تيمية بنصوصه ورد عليه جزءا جزءا ثم عقب بذكر قواعد يجب التزامها وبيان مزالق للفكر يجب تجنبها وطريق مأمون يجب الاشارة اليه فى فهم الآيات ، ويمكن لنا ان نتصور رسالته فى مقدمة وقسمين : قسم لمناقشة ابن تيمية خاصة وقسم لغرض ما يراه ابن جهبل ويأتى فى قسمين او فصلين ، احدهما لبيان القواعد التى يجب

التزامهما حين يكون الحديث عن الله عز وجل واقامة الحجج والبراهين العقلية على نفى الجهة خاصة وفصل آخر جعله لبيان الطريق المأمون فى فهم القرآن الكريم والاحاديث النبوية ثم الأشارة الى مزالق الفكر وامكان تجنبها .

وهذا جميل فى بابه قوى فى تصنيفه الا أن الشيخ لم يضع معالم يراها القارىء فيدرك انه ينتقل من حال الى حال أو يتريض بين فكرة وفكرة .

والقارىء خاصة فى مثل هذا الزمان يحتاج الى مثل هذه المعالم حتى يقف عند كل معلم ليلتقط انفاسه وسط هذه الحياة المزدحمة التى تشده الى كثرة من الاشياء ولا تمنحه وقتا كافيا للقراءة والاطلاع والتأمل .

٢ — فرأينا ان نضيف الى الكتاب بعض العناوين التي تشعر القارىء انه ينتقل من مسألة الى اخرى .

فلما وصل المؤلف الى مناقشة ابن تيمية رأيت الا اقطع على القارىء فكره فلم اتدخل فى هذا القسم بوضع عناوين جانبية اما ماعداه فقد ذكرت عناوين وسط الصلب اذ أحسست أن المؤلف يحتاج الى مثل هذه العناوين كما يحتاجها القارىء .

٣ — ومن ناحية أخرى فان المؤلف قد استشهد بأقوال الكبار علماء الامة وذكر العالم وذكر بعده قوله ولكنه لم يؤرخ للعالم أو يعرف به فرأيت ان اثبت لكل عالم ترجمة فى هامش الكتاب ، ورأيت المؤلف ايضا لم يشر الى مصدر القول الذى اثبته لكل عالم فرأيت ان أعود به الى مصادره الأصلية فان كان موافقا لما نقله ابن جهبل اشرت الي مصدره فقط وان كان فيه خلاف رأيت أن انقل نص القول من مصدره .

٤ — وهذا المؤلف بحكم طبيعته قد احتوى نصوصا من كلام ابن تيمية للرد عليها فكان على ان اقابل هذه النصوص التى ذكرها ابن جهبل على النص الاصلى لابن تيمية فان وجدته ملتزما بالنص اشرت الى مكانه من الفتوى الحموية وان رأيت هناك خلافا فى النص اثبت كلام ابن تيمية فى الحاشية وان رأيت انه يأخذ بروح المعنى وفحواه فان رأيت ان ابن جهبل يحافظ على المعنى اشرت فى الحاشية الى مكان النص مع الاشارة الى انه مروى بالمعنى وان وجدت خللا اثبت نص ابن تيمية بتمامه فى الحاشية ورأيت ان هذه الطريق تجعل القارىء يطمئن غاية الاطمئنان الى ما تحت يدهمن المواد التى تؤهله فى النهاية الى تصور المؤلف بتمامه والحكم عليه .

٥ — وفى المؤلف آيات من القرآن الكريم رأيت من الضرورى لتمام العمل اخراجها والاشارة الى مكانها من سور القرآن الكريم .

٦ — وهناك أحاديث استشهد بها ابن تيمية او ذكرها ابن جهبل وجميعها غير مخرجة وغير محكوم عليها بالصحة أو الضعف فى الكثير الاغلب :

((ا) فرأيت اولا أن أخرج هذه الأحاديث وأن ادل على مكانها من كتب السنة وأن اثبت نص ما ذكر بالفحوى محافظا على النصوص الشرعية فرب مبلغ أوعى من شاهد ورب فقيه ينقل الى من هو افقه منه .

(ب) ثم كان لزاما على أن أورد الحكم على الأحاديث خاصة منها مالم يرد فى صحيحى البخارى ومسلم وقد الجانى الى هذا أولا : ما رأيته من كثرة الأحاديث الضعيفة التى يوردها أصحاب هذا المذهب ويبنون عليها أحكامهم ويلتزمون بما فيها .

ثانيا : رايت ابن جهبل احيانا لا يشير الى ضعف الأحاديث الضعيفة والراى عندى انه يعلم ضعفها وحتى لو اشار الى ضعف الأحاديث كان يعقب بعد ذلك بابطال الاستنباط منها .

ورايى ان ابن جهبل لم يكن يشير الى ضعف الحديث لكى يكسر القاعدة المنتشرة عند مناوئيه وهى أنهم يجازفون بتضعيف الاحاديث والآثار او الأقوال التى يستند اليها غيرهم فاراد ابن جهبل ان لا يسلك هذا المسلك حتى لا يجرؤ العامة على الأحاديث والآثار فيضعفونها بعلم أو بغير علم .

ولقد رايت من الضرورى والحالة هذه أن اشير الى راى العلماء فى الأحاديث التى اعتمد عليها ابن تيمية وغيره وتميز الضعيف منها من الصحيح وهذه ضرورة يقتضيها هذا العمل .

٧ — وقد ترد فى النص بعض الكلمات اللغوية او الأمثال العربية وهى وان كانت لا تعيق القارىء من العربى وأن اكشف عن المثل وعن مورده ان تيسر لى ذلك .

٨ — هناك بعض المصطلحات الفلسفية أو الشرعية التى ربما لا يستقل القارىء العادى بفهمها فاشرت الى مدلول ذلك كله فى الحاشية حتى اساعد القارىء العادى على فهم ما يريد فهمه .

٩ — وقد تكون هناك فكرة غامضة او عبارة اراها مرتبكة فاضطر الى اعادة صياغتها فى الحاشية حتى يتمكن القارىء من الوقوف على مقاصد الكاتب ومسايرته فى فكره كما اضطر احيانا الى الاشارة الى بعض الاصول الفكرية او المنهجية بسرعة واختصار ان رايت أن المقام يحتاج الى مثل هذه الاشارات .

وبعـــد ...

فانى أتقدم بهذا العمـــل الى القارىء راجيا أن ينفعه الله به آملا أن تكون لبنة فى صرح الوفاق الذى اتطلع اليه بالرجاء من الله ان يحققه وأن اراه مشيدا قبل ان اغادر هذا العالم هانئا اوسد راسى نراع الأمل فى وفاق المسلمين ورأب صدعهم والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل ،،

الروضة — فارسكور — دمياط

١٤ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٧ هـ الموافقة

١٤ / ١ / ١٩٨٧ م

أ.د / طه الدسوقى حبيشى

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيم شأنه ، القوى سلطانه القاهر ملكوته ، الباهر جبروته ، الغنى عن كل شىء وكل شىء مفتقر اليه ، فلا معول لشىء من الكائنات الا عليه .

ارسل محمدا ﷺ بالمحجة البيضاء ، والملة الزهراء ، فاتى بأوضح البراهين ، ونور محجة السالكين ، وصف ربه تعالى بصفات الجلال ، ونفى عنه مالا يليق بالكبرياء والكمال ، فتعالى الله الكبير المتعال ، عما يقوله اهل الغى والضلال ، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطيف قدرته ، مقهورون فى قبضته ، احاط بكل شىء علما ، واحصى كل شىء عددا مطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الخواطر ، فسبحانه ما اعظم شأنه ، واعز سلطانه ، **« يسأله من فى السموات والارض »** لافتقارهم اليه : **« كل يوم هو فى شأن »** لاقتداره عليه .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم أنبيائه ، ومبلغ انبائه وعلى آله وصحبه وسلم .

سبب تاليف هذا الكتاب وخطة البحث

أما بعد : فالذى دعا الى تسطير هذه النبذة ، ما وقع فى هذه المدة ، مما علقه بعضهم فى اثبات الجهة واغتر بهما من لم يرسخ له فى التعليم قدم ، ولم يتعلق بأذيال المعرفة ولاكبحه لحلم الفهم ، ولا استبصر بنور الحكمة فاحببت أن :

١ — اذكر عقيدة اهل السنة والجماعة .

٢ — ثم ابين فساد ما ذكره ، مع أنه لم يدع دعوى الا نقضها ، ولا اطرد قاعدة الا هدمها .

٣ — ثم استدل على عقيدة اهل السنة وما يتعلق بذلك ، وها انا اذكر قبل ذلك مقدمة يستضاء بها في هذا المكان فاقول وبالله المستعان :

مقـــدمة

تمهيـــد : مذهب الحشوية(١) وانواعهم والرد عليهم :

مذهب الحشوية فى اثبـــات الجهة مذهب واه ساقط ، يظهر فساده من مجرد تصوره ، حتى قالت الائمة :

لولا اغترار العامة بهم لما صرف اليهم عنان الفكر ، ولا خط القلم فى الرد عليهم ، وهـــم فريقان :

١ — فريق لا يتحاشى فى اظهار الحشو « **يحسبون انهـــم على شىء** الا انهم هم الـــكاذبون »(٢) .

٢ — فريق يتستر بمذهب السلف لسحت يأكله ، او حطام يأخذه ، او هوى يجمع عليه الطغام(٣) الجهلة ، والرعاع السفلة لعلمه أن ابليس

---

(١) الحشوية : كلمة لغوية معروفة المعنى حيث تطلق ويراد منها حشا البطن اى ما تحت الحجاب الحاجز ، كما تطلق احيانا ويراد منها المختلط والمهمل من الشىء . راجع ابن منظور لسان العرب ج ٢ حا ح ش أ دار المعارف .

(٢) سورة المجادلة آية ١٧ .

(٣) الطغام : ارذال الطير والسباع ، الواحدة طغامة للذكر والانثى مثل نعامة ونعام ، ولا ينطق منه بفعل ، ولا يعرف له اشتقاق ، وهما ايضا ارذال الناس واوغادهم انشد ابو العباس :

اذا كان اللبيب كـــذا جهـــولا   فما فضل اللبيب على الطغـــام

الواحد والجمع فى ذلك سواء . راجع ابن منظور لسان العرب ج ٤ مادة ط غ م ، المحقق ، دار المعارف .

ليس له داب الا خذلان امة محمد ﷺ ، ولذلك لا يجمع قلوب العامة الا على بدعة وضلالة ، يهدم بها الدين ، ويفسد بها اليقين ، فلم يسمع فى التواريخ انه أخزاه الله جمع غير خوارج أو رافضة أو ملاحدة او قرامطة ، وأما أهل السنة والجماعة فلا تجتمع الا على كتاب الله المبين ، وحبله المتين .

وفى هـذا الفريق من يكذب على السـابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، ويزعم انهم يقولون بمقالته

ولو انفق ملء الارض ذهبا ما استطاع ان يروج عليهم كلمة تصـدق دعواه ، وتستر هذا الفريق بالسلف حفظا لرياسته والحطام الذى يجتلبه « يريدون ان يأمنوكم وأمنوا قومهم »(٤) وهؤلاء يتحلون بالرياء والتقشف : فيجعلون الروث مفضضا(٥) والـكنيف[٦] مبيضا ، ويزهـدون فى الذره ليحصلوا الدرة .

اظهروا للناس منسـكا وعلى المنقوش داروا(٧)

---

(٤) سورة النساء آية ٩١ .

(٥) تطلق فى الاصطلاح على المجسمة من المفكرين الالهيين سواء أكان التجسيم ماديا أم روحيا كما يقولون .

(٦) الساتر ويطلق الكنيفويراد منه مايضع للابل منخشب وشجر ويتخذ لها حظائر وقيل لها وللغنم ، ابن منظور لسـان العرب جـ ٥ ص ٣٩٤١ المحقق .

(٧) المنقوش : الدينار . والنسـك : المتبين ، والبيت لمحمود الوراق وهو فى العقد الفريد هكذا .

ظهروا للنـاس دينا وعلى الدينار داروا

راجع العقد الفريد جـ ٣ / ٢١٦ . المحقق .

ومذهب السلف انما هو التوحيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه ، والمبتدعة تزعم انها على مذهب السلف .

وكل يدعون وصال ليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا(٨)

وكيف يعتقد فى السلف انهم يعتقدون التشبيه ، أو يسكتون عند ظهور أهل البدع ، وقد قال الله « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون »(٩) ، وقال الله تعالى :

« واذا أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه»(١٠)، وقال الله تعالى : « لتبين للناس ما نزل اليهم »(١١) .

ولقد كانت الصحابة ، رضى الله عنهم ، لا يخوضون فى شىء من هذه الأشياء ، لعلمهم ان حفظ الدهماء اهم الامور مع ان سيوف حججهم مرهفة ورمحها مشحوذة ، ولذلك لما نبغت الخوارج وراجعهم حبر الامة وعالمها وابنا عم رسولها ، أمير المؤمنين على ابن ابى طالب وعبد الله بن عباس ، فاهتدى البعض بالمناظرة ، واصر الباقون عنادا فتسلط عليهم السيف .

ولكن حكم السيف فيكم مسلطا فترضى اذا ماأصبح السيف راضيا

---

(٨) البيت مشهور وكثيرا الدوران على السنة العامة والخاصة وصدره كما فى ديوان الصبابة ص ٣ :

وكل يدعى وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

ومعناه ظاهر . المحقق .

(٩) سورة البقرة آية ٤٢ .

(١٠) سورة آل عمران آية ١٨٧ .

(١١) سورة النحل آية ٤٤ ، وهو جزء آية « ... وانزلنا اليك الذكر لتبين ... » .

وكذلك لمـــا نبغ القدر ونجم به معبد الجهنى(١٢) قيض الله تعالى له زاهد الامة وابن فاروقها عمر بن الخطاب رضى الله عنهما(١٣) ،ولو لم تنبغ هاتان البدعتان لما تكلمت الصحابة رضى الله عنهم فى رد هـــذا ولا ابطال هذا ، ولم يكن دابهم الا الحث على التقوى والغزو وأفعال الخير ، ولذلك لم ينقل عن سيد البشر ﷺ ولا عن احد الصحابة رضى الله عنهم ، انه جمع الناس فى مجمع عام ، ثم أمرهم ان يعتقدوا فى الله تعالى كذا وكذا .

وقد أصدر لعلها صدر ذلك فى أحكام شتى ، وانما تكلم فيها بما يفهمه الخاص ولا ينكره العام ، وبالله اقسم يمينا برة ، ما هى مرة بل الف الف مرة ، ان سيد الرســـل ﷺ لم يقل أيها الناس ، اعتقـــدوا أن الله تعالى فى جهة العلو ، ولا قال ذلك الخلفاء الراشدون ، ولا احد من الصحابة .

بل تركوا الناس(١٤) وأمر التعبدات والأحكام ، ولكن لما ظهرت البدع قمعها السلف ، اما التحريك للعقائد ، والتشمير لاظهارها واقامة ثائرها ، فما فعلوا ذلك ، بل حسموا البدع عنـــد ظهورها .

---

(١٢) معبد الجهنى : — ٨٠ هـ = ٦٩٩ م . معبد بن عبد الله بن عليم الجهنى البصرى : أول من قال بالقدر فى البصرة سمع الحديث من ابن عباس وعمران بن حصين وغيرهما ، وحضر يوم « التحكيم » وانتقل من البصرة الى المدينة فنشر فيها مذهبه وعنه أخذ « غيلان » والدمشقى كان صدوقا ثقة فى الحديث من التابعين وخرج مع ابن الأشعث على الحاج بن يوسف فجرح فاقام بمكة فقتله الحاج صبرا بعد ان عذبه وقيل : صلبه عبد الملك بن مروان بدمشق على القول فى القـــدر ثم قتله (تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٢٥ وميزان الاعتدال ٣ : ١٨٣ وكتاب الضعفاء للبخارى وشذرات الذهب ١ : ٨٨ والبداية والنهاية ٩ : ٣٤ والاعلام جـ ٧ ص ٢٦٤ . المحقق .

(١٣) يقصد عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

(١٤) الواو بمعنى « مع » أى تركوا الناس مع . المحقق .

ثم الحشوية اذا بحثوا فى مسائل اصول الدين مع المخالفين تكلموا بالمعقول ، وتصرفوا فى المنقول ، فاذا وصلوا الى الحشو تبلدوا وتأسوا ، فتراهم لا يفهمون بالعربية ولا بالعجمية ، كلا والله ، والله لو فهموا لهاموا ، ولكن اعترضوا بحر الهدى فشقوه وعاموا ، واسمعوا كل ذى عقل ضعيف وذهن سخيف ، وخالفوا السلف فى الكف عن ذلك مع العوام ، ولقد كان الحسن البصرى(١٥) رضى الله عنه اذا تكلم فى علم التوحيد اخرج غير أهله(١٦) ، وكانوا رحمهم الله تعالى لا يتكلمون فيه الا مع أهل السنة منهم ؛ اذ هى قاعدة أهل التحقيق ، وكانوا يضنون به على الاحداث وقالوا :

الاحداث هم المستقبلون الامور ، المبتدئون فى الطريق فلم يجربوا الامور ، ولم يرسخ لهم فيها قدم ، وان كانوا أبناء سبعين سنة . وقال سهل(١٧) رضى الله عنه : لا تطلعوا الاحداث على الاسرار قبل تمكنهم من

---

(١٥) الحسن البصرى : [٢١ — ١١٠ هـ = ٦٤٢ — ٧٢٨ م] الحسن ابن يسار البصرى أبو سعيد تابعى كان امام اهل البصرة وحبر الأمة فى زمنه وهو حد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ، ولد بالمدينة وشب فى كنف على بن أبى طالب واستكتبه الربيع بن زياد والى خرسان فى عهد معاوية وسكن البصرة وعظمت هيبته فى القلوب وله مع الحجاج بن يوسف مواقف وقد سلم من أذاه ، أخباره كثيرة وله كلمات سائرة وكتاب فى فضائل مكة — ط بالازهرية توفى بالبصرة وكتب احسان عباس عنه كتاب — ط] انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ووفيات الاعيان وميزان الاعتدال ١/٢٥٤ وحلية الاولياء ٢ / ١٣١ وذيل المذيل ٩٣ وأمالى المرتضى ١/١٠٦ والازهرية ٣/٧٢٥ والاعلام ٢/٢٢٦ ، المحقق .

(١٦) كان الغزالى ينتهج نفس هذا المنهج فكان رحمه الله يحترم مبدأ — الجام العوام عن علم الكلام ، المحقق .

(١٧) سهل : (٢٠٠ — ٢٨٣ هـ ، آقيل ٢٧٣ هـ = ٨١٥ — ٨٩٦ وقيل

اعتقاد أن الاله واحد وأن الموجد فرد صمد منزه عن الكيفية والأينية لا تحيط به الأفكار ، ولا تكيفه الألباب اهـ .

وهذا الفريق لا يكتفي من ايمان الناس الا باعتقاد الجهة ، وكأنه لم يتسمع الحديث الصحيح عن النبي ﷺ « أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » الحديث(١٨) .

افلا يكتفي(١٩) بما اكتفى به نبيهم ﷺ .

٨٨٦م / سهل بن عبد الله بن يونس التستري أبو محمد احد ائمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الاخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال له كتاب في تفسير القرآن — ط « مختصرا » وكتاب رقائق المحبين وغير ذلك) انظر ترجمته في طبقات الصوفية ٢٠٦ ، والوفيات ١/٢١٨ ، حلية الأولياء ١٠/١٨٩ ، الشعراني ١/٦٦ ، والمناوي ١/٢٣٧ والأعلام ٣/١٤٣ ، والقشيرية ١ / ٨٣ ، المحقق .

(١٨) الحديث : من رواية البخاري وهذا طرف منه والحديث نصه كما يلي « أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله » كتاب الزكاة الباب الأول الحديث رقم ١٣٩٩ ، وقد أخرجه غيره مسلم ك ١ ح ١٥٥/١٦٠ أبو داود ك ٩ ب ١ ، الترمذي ك ٤٤ سورة ٨٨ ، ابن ماجة ك ٣٦ ب ١ ، الدارمي ك ١٧ ب ١٠ و ١١ ، طبقات ابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٢٨ ، ص ١٢٩ ، ج ٤ ق ١ ص ٤٨ ، مسند أحمد بن حنبل أول ص ١٩، ٣٥، ٤٧ وثان ص ٣١٤ و ٤٢٣ ، ٤٣٩ ، ٤٧٥ ، ٤٨٢ ، ٥٠٢ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ / ثالث ص ٢٩٥ ، ٣٠٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٩ ، ٤٧٢ / رابع ص ٢٨ خامس ص ٢٠٠ و ص ٢٠٧ ، سادس ص ٣٩٤ ، والنسائي حديث ٦٢٦ ، ١٢٤١ ، المحقق .

(١٩) يقصد ابن تيمية . المحقق .

حتى يامر الزمنى(٢٠) بالخوض فى بحر لا ساحل له ، ويامرهم بالتفتيش عما لم يامرهم رسول الله ﷺ ولا احد من اصحابه رضى الله عنهم ، ولا تنازل واكتفى(٢١) بما نقل عن امامة الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه .

مذهب الامام احمد بن حنبل(٢٢) فى الصفات

حيث قال « لا يوصف الله تعالى الا بما وصف به نفسه او وصفه به رسول الله ﷺ ، لا نتجاوز القرآن والحديث ، ونعلم أن ما وصف الله

---

(٢٠) الزمنى : جمع زمن وهو من كانت به عاهة ، أو مرض لا يرجى برئه .

(٢١) معطوف على الفعل السابق قبله فى قوله « افلا يكتفى بما اكتفى به نبيهم ﷺ ، والمعنى أن الكاتب يلوم ابن تيمية بانه لم يكتف بما اكتفى به رسول الله ﷺ ولا ما اكتفى به امامه أحمد بن حنبل وما بينهما من الجمل جمل معترضة ، المحقق .

(٢٢) الامام أحمد بن محمد بن حنبل .

قدم به أبوه من مرة وهو حمل فوضعته امه ببغداد فى ربيع الأول من سنة اربع وستين ومائة وتوفى ابوه وهو بن ثلاث سنين فكفلته أمه ، وتوفى أبو عبد الله احمد بن حنبل يوم الجمعة الثانى عشر من ربيع الأول من سنة احدى واربعين ومائتين وله من العمر سبع وسبعون سنة رحمه الله .

وقد كان فى حداثته يختلف الى مجلس القاضى ابى يوسف ثم ترك ذلك واقبل على سماع الحديث ، فكان اول طلبه للحديث من مشايخه فى سنة سبع وثمانين ومائة وقد بلغ من العمر ست عشرة سنة .

قال الامام احمد : حججت خمس حجج منها ثلاث راجلا ، أنفقت فى احدى هذه الحجج ثلاثين درهما . قال : وقد ضللت فى بعضها الطريق
=

. . . .

= أبو عبـد الله : أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . واليـه نسبة الشافعية كافة ولد فى غزة (بفلسطين) وحمل منها الى مكة وهو بن سنتين . وزار بغداد مرتين وقصـد مصر سنة ١٩٩ فتوفى بهـا . وقبره معروف فى القاهرة .

قال المبرد : كان الشافعى اشعر الناس وآدبهـم وأعرفهم بالفقه والقراءات ، وقال الامام ابن حنبـل : ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق الا وللشافعى فى رقبته منة . وكان من احذق قريش بالرمى يصيب من العشرة عشرة ، برع فى ذلك أولا كما برع فى الشعر واللغة وأيام العرب ثم اقبـل على الفقه والحديث وأفتى وهو بن عشرين سنـة ، وكان ذكيا مفرطا ، له ، تصانيف كثيرة اشهرها كتاب « الأم — ط » فى الفقه سبع مجـلدات جمعه البويطى وبوبه الربيع بن سليمان ، ومن كتبه « المسند ط » فى الحديث و « أحكام القرآن — ط » و « السنن » — ط ، و « الرسالة — ط» فى اصول الفقه منها نسخة كتبت ٢٦٥ هـ فى دار الكتب و « اختلاف الحديث — ط » و« السبـق والرمى » و « فضـائل قريش » و « أدب القـاضى » و « المواريث » .

وقد كتبت عنه كتب ومؤلفات كثيرة منها ما هو بالاستقلال ومنها ترجمة مطولة فى كتب التراجم .

انظر فى ترجمته نحو « الشافعى » محمد أبى زهرة :

— تذكرة الحفاظ ١ : ٣٢٩ .

— تهذيب التهذيب ٩ : ٢٥

— طبقات الشافعية ١ : ١٨٥

— الاعلام الزركلى ٦ : ٢٦ . المحقق .

« امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » الحديث(٢٧) .

فبين مالك رضى الله عنه ان المطلوب من الناس فى التوحيد هو ما اشتمل عليه هذا الحديث ، ولم يقل : من التوحيد اعتقاد ان الله تعالى فى جهة العلو وسئل الشافعى رضى الله عنه عن صفات الله فقال : حرام على العقول ان تمثل الله تعالى ، وعلى الاوهام ان تحد ، وعلى الظنون ان تقطع ، وعلى النفوس ان تفكر ، وعلى الضمائر ان تعمق ، وعلى الخواطر ان تحيط الا ما وصف به نفسه على لسان نبيه ﷺ .

ومن نقض ونقش وبحث وجد ان الصحابة رضى الله عنهم والتابعين والصدر الاول لم يكن دابهم غير الامساك عن الخوض فى هذه الامور ، وترك ذكرها فى المشاهد ، ولم يكونوا يدسونها الى العوام ، ولا يتكلمون بها على المنابر ، ولا يوقعون فى قلوب الناس منها هواجس كالحريق المشتعل ، وهذا معلوم بالضرورة من سيرهم ، وعلى ذلك بنينا عقيدتنا واسسنا نحلتنا وسيظهر لك ان شاء الله تعالى موافقتنا للسلف ، ومخالفة المخالف(٢٨) طريقتهم وان ادعى الاتباع ، فما سالك غير الابتداع وقول المدعى انهم اظهروا هذا ، ويقول : علم النبى ﷺ كل شىء حتى الخراءة ، وما علم هذا المهم ! ، هذا بهرج(٢٩) لا يمشى على الصيرفى النقاد ، او ما علم ان الخراءة يحتاج اليها كل واحد ، وربما تكررت الحاجة اليها فى اليوم

---

(٢٧) هذا الحديث سبق تخريجه وهو من رواية البخارى وغيره من كتب الصحاح . المحقق .

(٢٨) يقصد ابن تيمية كما هو ظاهر فتامل . المحقق .

(٢٩) بهرج : الدرهم البهرج الذى فضته رديئة .

والبهرج : الباطل والردىء من الشىء ، واللفظة معربة عن الفارسية وقيل اصلها هندية نقلت الى الفارسية ثم عربت ابن منظور — لسان العرب . المحقق .

مرات وأى حاجة بالعوام الى الخوض فى الصفات ؟ نعم الذى يحتاجون اليه من التوحيد قد تبين فى حديث « أمرت أن اقاتل الناس » ثم هذا الكلام من المدعى بهدم بنيانه ، ويهد أركانه ، فان النبى ﷺ علم الخراة تصريحا ، وما علم الناس ان الله تعالى فى جهة العلو ، وما ورد من العرش والسماء فى الاستواء ، قد بنى المدعى مبناه ، وأوثق عرى دعواه على أن المراد بهما شىء واحد ، وهو جهة العلو ، فما قاله هذا المدعى لم يعلمه النبى ﷺ امته ، وعلمهم الخراة فعند المدعى يجب تعليم العوام حديث الجهة ، وما علمها رسول الله ﷺ ، واما نحن فالذى نقوله انه لا يخاض فى مثل هذا ويسكت عنه كما سكت رسول الله ﷺ واصحابه ، ويسعنا ما وسعهم ، ولذلك لم يوجد منا أحد يامر العوام بشىء من الخوض فى الصفات ، والقوم قد جعلوا دابهم الدخول فيها والامر بها ، فليت شعرى الاشبه بالسلف ؟

مذهب أهل السنة والجماعة

وها نحن نذكر عقيدة أهل السنة ، فنقول :

عقيدتنا أن الله قديم أزلى ، لا يشبه شيئا ولا يشبهه شىء ليس له جهة ولا مكان ، ولا يجرى عليه وقت ولا زمان(٣٠) ، ولا يقال أين ولا حيث ، يرى لا عن مقابلة ولا على مقابلة ، كان ولا مكان ، كوّن المكان ، ودبر الزمان ، ودبر الآن على ما عليه كان .

---

(٣٠) وهذا مما يقتضيه العقل السليم والفطرة الصافية ، ذلك أن الزمان والمكان مخلوقان لله عز وجل ولا يعقل أن تحكم الصنعة على الصانع ، ويكون الصانع محكوما لها وقصارى ما تدل عليه الصنعة أنها تثبت أحكام صانعها دون أن يكون لها عليه حكم أو تقييد فتأمل ، المحقق .

عقيدة مشايخ الطريق رضى الله عنهم :

هذا مذهب أهل السنة ، وعقيدة مشايخ الطريق رضى الله عنهم . —

قال الجنيد (٣١) رضى الله عنه : متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير(٣٢) ؟

وكما قيل ليحى بن معاذ الرازى(٣٣) : اخبرنا عن الله عز وجل ؟ فقال : اله واحد . فقيل له : كيف هو ؟ فقال : مالك قادر .فقيل له:اين هو ؟ فقال : بالمرصاد . فقال السائل : لم اسالك عن هذا فقال : ما كان غير هذا كان صفة لمخلوق ، فاما صفته فما اخبرت عنه . وكما سال ابن شاهين الجنيد رضى الله عنهما عن معنى « مع » فقال « مع » على معنيين مع الأنبياء بالنصره والكلاءة ، قال الله تعالى « اننى معكما اسمع وارى » ، ومع العامة بالعلم والاحاطة قال الله تعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم » فقال ابن شاهين مثلك يصلح ان يكون دالا للأمة على الله (٣٤) .

---

(٣١) الجنيد:ابو القاسم بن محمد اصله من نهاوند ومنشاه ومولده بالعراق وكان فقيها علىمذهب أبى ثور وكان يفتى وهو ابن عشرين سنة ماتسنة٢٩٧هـ (ببغداد) انظر الرسالة القشيرية ١/١٠٥ — المحقق .

(٣٢) فى الرسالة القشيرية النص بتمامه هكذا متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير ؟ ! هيهات هــذا ظن عجيب الا بما لطف اللطيف من حيث لادرك ولا وهم ولا احاطة الا اشارة اليقين وتحقيق الايمان الرسالة القشيرية ج ١ ص ٣٩ — ٤٠ تحقيق الدكتور/عبد الحليم محمود طبع دار التاليف بالقاهرة — المحقق .

(٣٣) يحيى الرازى ابو زكر يا يحيى بن معاذ الرازى الواعظ خرج الى بلخ واقام بها مدة ورجع الى نيسابور ومات بها سنة ٢٥٨هـ . انظر الرسالة القشيرية ١/٩١ — المحقق .

(٣٤) النص فى الرسالة القشيرية ج ١ : ٣٩ — ٤٠ .

وسئل ذو النون المصرى(٣٥) رضى الله عنه ، عن قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » ، فقال اثبت ذاته ونفى مكانه ، فهو موجود بذاته ، والأشياء بحكمته كما شاء سبحانه(٣٦) .

وسئل عنه « أى النص المذكور » الشبلى (٣٧) رضى الله عنه فقال : « الرحمن لم يزل والعرش محدث ، والعرش بالرحمن استوى »(٣٨) .

وسئل عنها « أى الآية المذكورة » جعفر بن نصير(٣٩) ، فقال « استوى علمه بكل شىء ، وليس شىء أقرب اليه من شىء » .

وقال جعفر الصادق رضى الله عنه(٤٠) : من زعم ان الله فى شىء او من

---

(٣٥) ذو النون المصرى : ثوبان بن ابراهيم وقيل الفيض بن ابراهيم وأبوه كان نوبيا توفى سنة ٢٤٥هـ انظر الرسالة القشيرية ٥٤/١ — المحقق .

(٣٦) النص بالرسالة القشيرية جـ ١ : ٤٠ المحقق .

(٣٧) الشبلى أبو بكر دلف بن جدر الشبلى بغدادى المولد والمنشأ واصله من أسر وشنة » مالكى المذهب عاش ٨٧ سنة ومات سنة ٣٣٤هـ وقبر ببغداد انظر الرسالة القشيرية ١٤٨/١ المحقق .

(٣٨) النص بالرسالة القشيرية قد سقط منه كلمة محدث التى وصف العرش بها هنا المحقق .

(٣٩) جعفر بن نصير بغدادى المنشأ والمولد مات ببغداد سنة ٢٤٨هـ لقال له (الخواص — ويعرف بالخلدى رحل الى مكه والفرات ومصر ثم عاد الى بغداد) انظر الرسالة القشيرية ١٦٧/١ . المحقق .

(٤٠) جعفر الصادق : (٨٠ — ١٤٨هـ — ٦٩٩ — ٧٦٥م) جعفر بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمى القرشى أبو عبد الله الملقب بالصادق سادس الأئمة الاثنى عشر عند الامامية كان من اجل التابعين وله منزله رفيعة فى العلم اخذ عنه جماعة منهم أبو حنيفة ومالك

شيء أو على شيء فقد أشرك ، اذ لو كان في شيء لكان محصورا ، ولو كان على شيء لكان محمولا ، ولو كان من شيء لكان محدثا(٤١) .

وقال محمد بن محبوب خادم ابى عثمان المغربى(٤٢) ، قال لى ابو عثمان المغربى يوما : يا محمد ، لو قال لك قائل : اين معبودك أيش تقول ؟ قلت : اقول : حيث لم يزل . فان قال فأين كان فى الأزل ايش تقول قلت : حيث هو الآن . يعنى انه كان ولا مكان فهو الآن كما كان قال : فارتضى ذلك منى ؟ ونزع قميصه وأعطانيه(٤٣) .

وقال ابو عثمان المغربى : كنت اعتقد شيئا من حديث الجهة ، فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبى . فكتبت الى أصحابى بمكة انى اسلمت الآن اسلاما جديدا(٤٤) « قال : فرجع كل من كان تابعه على ذلك » فهذه كلمات اعلام

ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط (عند الامامية) له اخبار مع الخلفاء من بنى العباس وكان جريئا عليما صداعا بالحق له « رسائل » مجموعة فى كتاب ورد ذكرها فى كشف الظنون يقال ان جابر بن حيان تتلمذ بجمعها ، مولده ووفاته بالمدينة (نزهة الجليس للموسوى ٣٥/٢ ووفيات الاعيان ١٠٥/١ والجمع ٧٠ واليعقوبى ١٢١٥/٣ وصفة الصفوة ٩٤/٢٥ وحلية الاولياء ١٩٢/٣) . المحقق .

(٤١) النص بالرسالة القشيرية ج ١ : ٤٠ — ٤١ . المحقق .

(٤٢) أبو عثمان المغربى: أبو عثمان سعيد بن سلام المغربى مات بنيسابور سنة ٣٧٣هـ انظر الرسالة القشيرية ١٧٩/١ — المحقق .

(٤٣) النص بالرسالة القشيرية ج ١ : ٣٣ — ٣٤ . وكلمة — ايش — عامية شامية وأصلها بالعربية « أى شيء » .

(٤٤) الرسالة القشيرية ج ١ ص ٣٤ ..

اهل التوحيد وائمة جمهور الامة سوى هذه الشرزمة الزائفة ، وكتبهم طافحه بذلك .

وردهم على هذه النازغة لا يكاد يحصر ، وليس غرضنا بذلك تقليدهم ، لمنع ذلك فى أصول الديانات ، بل انما ذكرت ذلك ليعلم ان مذهب أهل السنة ما قدمناه .

موقف اهل السنة من آيات الصفات

ثم ان قولنا ان آيات الصفات وأخبارها ، على من يسمعها وظائف التقديس ، والايمان بما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ على مراد الله تعالى ؟ ومراد رسوله ﷺ ؟ والتصديق والاعتراف بالعجز ؟ والسكوت والامساك عن التصرف فى الالفاظ الواردة ، وكف الباطن عن التفكير فى ذلك ، واعتقاد ان ما خفى عليه منها لم يخف عن الله ولا عن رسوله ﷺ ، وسيأتى شرح هذه الوظائف ان شاء الله تعالى ، فليت شعرى فى اى شيء نخالف السلف ، هل فى قولنا : كان ولا مكان ؟! او فى قولنا : انه تعالى كون المكان ؟! او فى قولنا : وهو الآن على ما عليه كان ؟! او فى قولنا : تقدس الحق عن الجسمية وماشابهتها ؟! او فى قولنا : يجب تصديق ما قاله الله تعالى ورسوله بالمعنى الذى اراد ؟! او فى قولنا : يجب الاعتراف بالعجز ؟! او فى قولنا : نسكت عن السؤال والخوض فيما لا طاقة لنا به ؟! او فى قولنا : يجب امسك اللسان عن تغيير الظواهر بالزيادة والنقصان ؟! . وليت شعرى فى ماذا وافقوا السلف ، هل فى دعائهم الى الخوض فى هذا والحث على البحث مع الأحداث الغرين(٤٥) ؟ والعوام الطغام(٤٦) الذين يعجزون عن غسل محل

---

(٤٥) الغرين : واحده : غر ، والغر فى الأصل من ليس له بصر وخبرة بالأمور ولا حنكة ويقال مؤمن غر اى ليس له بصر بأساليب الشر وحياكة

النجو(٤٧) واقامة دعائم الصــــلاة واتفقوا السلف فى تنزيه البارى سبحانه وتعالى عن الجهة ؟!

وهل سمعوا فى كتاب الله او اشارة من علم عن السلف أنهم وصفوا الله تعالى بجهة العلو ؟ وان كل مالا يصفه به فهو ضال مضل من فراخ الفلاسفة والهنود واليونان ؟

« انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا »(٤٨) .

(مناقشة ابن تيمية فى مذهبه)

ونحن الآن نبتدىء بافساد ما ذكره ، ثم بعد ذلك نقيم الحجة على نفى الجهة والتشبيه ، وعلى جميع ما يدعيه ، وبالله المستعان .

اولا (بيان فساد ما ذهب اليه ابن تيمية)

اقول : عرض حجج الخصم ومناقشتها :

ادعى أولا انه يقول بما قاله الله ورسوله ﷺ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار رضى الله عنهم(٤٩) ثم انه قال مالم يقله الله ولا رسوله ولا السابقون الأولون من المهاجرين والانصار ، ولا شيئا منه .

=

المؤامرات واكثر اهل الجنـــة غرون اى لا بصر لهم بأمور الشر . ولا حنكة لهم فى الخداع والمكر (بتصرف) لسان العرب لابن منظور ٥ : ٣٢٣٢ .

(٤٦) الطغام : — واحده طغامة للذكر والانثى ويطلق على أرازل الطير والسباع كما يطلق على اراذل الناس وأوغادهم وهو المراد هنا لسان العرب ٤ : ٢٦٧٧ — المحقق .

(٤٧) النجو : ما يخرج من البطن من ريح أو غائط — المحقق .

(٤٨) النساء : ٥٠ .

(٤٩) ص (١) الفتوى الحموية الكبرى/مكتبة السنة المحمدية/القاهرة .

فأما الكتاب والسنة فستبين مخالفته لهما .

وأما السابقون الأولون من المهاجرين والانصار فذكره لهم فى هـذا الموضع استعارة للتهويل ، والا فهو لم يورد من اقوالهم كلمة واحدة ، لا نفيا ولا اثباتا ، واذا تصفحت كلامه عـرفت ذلك ، اللهم الا أن يكون مراده بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار مشايخ عقيدته دون الصحابة .

وأخذ(٥٠) بعد هذه الدعوى فى مدحه ﷺ وفى مدح دينه ، وان أصحابه أعلم الناس بذلك .

والأمر كما قاله وفوق ما قاله ، (وكيف المدائح تستوفى مناقبه) ؟! ولكن كلامه كما قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه « كلمة حـق أريد بها باطل » .

ثم أخذ بعد ذلك فى ذم الائمة وأعلام الأمة(٥١) ، حيث اعترفوا بالعجز عن ادراكه سبحانه وتعالى ، مع أن سيد الرسل ﷺ قال : « لا احصى ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك »(٥٢) ، وقال الصديق « العجز عن درك الإدراك ادراك » .

---

(٥٠) بدءا من قوله « فان الله سبحانه وتعالى قد بعث نبيه ﷺ بالهدى ودين الحق .....» الخ من الفتوى الحموية الكبرى ويلاحظ أن الاحالة على نصوص ابن تيمية من الآن فصاعدا فى الفتوى الحموية الكبرى .

(٥١) بدءا من قوله (... كما قد يقوله بعض الأغبياء .... فان هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف — من المتفلسفة ومن حذا حذوهم — على طريقة السلف : ...) الخ وهذه دعاوى منه تحتاج الى دليل وانهامات بعبارات نارية مفرضة فتأمل ص ٣ وما بعدها — المحقق .

وتجاسر المدعى على دعوى المعرفه(٥٣) ، وان ابن الحيض(٥٤) قد عرف القديم على ما هو عليه ! ، ولا غرور ولا جهل اعظم ممن يدعى ذلك .

فنعوذ بالله من الخذلان . ثم اخذ بعد ذلك فى نسبة مذهب جمهور امه محمد ﷺ الى انه مذهب فراخ الفلاسفة واتباع اليونان واليهود(٥٥) « ستكتب شهادتهم ويسألون »(٥٦) .

ثم قال : « كتاب الله تعالى من اوله الى آخرة ، وسنة رسوله ﷺ من اولها الى آخرها ، ثم عامه كلام الصحابة والتابعين ، ثم كلام سائر الائمة مملوء بما هو : اما نص واما ظاهر فى (ان) الله (سبحانه وتعالى هو العلى الأعلى وهو ، فوق كل شيء ، وهو عال (٥٧) وعلى كل شيء ، وانه فوق العرش وانه فوق السماء اهـ وقال فى اثناء كلامه ، واواخر مازعمه :

وهذا جزء دعاء قاله النبى ﷺ ونصه كما فى الترمذى عن (عائشة) قالت : — كنت نائمة الى جنب رسول الله ﷺ ففقدته من الليل فلمسته فوقعت يدى على قدميه وهو ساجد وهو يقول « اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك » قال هذا حديث حسن قد روى من غير وجه عن عائشة رضى الله عنها — المحقق .

(٥٣) انظر ص ٦ وما بعدها — المحقق .

(٥٤) يعرض بضعف الانسان — المحقق .

(٥٥) ص ٩ .

(٥٦) الزخرف ١٩ .

(٥٧) تم مقابلة النص على الاصل واضافة ما يلزم اضافته . والفتوى الحموية ص ٦ — المحقق .

انه فوق العرش حقيقة . وقاله في موضع آخر عن السلف . فليت شعرى اين هذا في كتاب الله تعالى على هذه الصورة ، التى نقلها عن كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ ؟!

وهل في كتاب الله تعالى كلمة مما قاله حتى يقول : انه فيه نص ؟! والنص هو الذى لا يحتمل التأويل البته ، وهذا مراده ، فانه جعله غير الظاهر(٥٨) ، لعطفه له عليه ، واى آية في كتاب الله تعالى نص بهذا الاعتبار(٥٩) ! فأول ما استدل به قوله تعالى : « اليه يصعد الكلم الطيب »(٦٠) ، فليت شعرى اى نص في الآية او ظاهر على أن الله تعالى في السماء أو على العرش ؟!

ثم نهاية ما يتمسك به انه يدل على علو يفهم من الصعود ، وهيهات ، — زل حمار العلم في الطين — ، فان الصعود في الكلام كيف يكون حقيقة مع ان

---

(٥٨) موضوع الحديث عن النص والظاهر والمفسر والمحكم في كتب أصول الفقه . وما يهمنا هنا هو الظاهر والنص .

وقد وقع الخلاف بين العلماء حول تحديد مفهوم كل منهما فقد ذهب بعضهم الى ان النص والظاهر بمعنى واحد وذهب فريق آخر من العلماء الى ان هناك فرق بينهما ويبدو ان ابن تيمية ممن يقولون بالاتجاه الثانى بدليل انه قد عطف احدهما على الآخر والعطف يقتضى المغايرة والذين يقولون بأن هناك فرق بين هذين التعبيرين من حيث الدلالة قالوا : ان الظاهر هو الذى يقبل احتمالا فيما يدل عليه ، والنص هو الذى لا يقبل احتمالا فيما يدل عليه .

(٥٩) تساؤل ابن جهبل هنا يتصل بالنصوص الخاصة باثبات الجهة كما يقول ابن تيمية والا فالقرآن فيه نصوص لها ظاهر واخرى لها دلالة بنصها .... الخ في مسائل الاحكام فتأمل . المحقق .

(٦٠) سورة فاطر الآية : ١٠ الحموية : ص ٦

المفهوم فى الحقائق أن الصعود من صفات الأجسام ! فليس المراد الا القبول ، ومع هذا لا حد ولا مكان .

واتبعها بقوله تعالى « انى متوفيك ورافعك الى »(٦١) وما أدرى من أين استنبط من هذا الخبر أن الله تعالى فوق العرش من(٦٢) هذه الآية ! هل ذلك بدلاله المطابقة أو التضمن أو الالتزام(٦٣) ، أو هو شيء أخذه بطريق

---

(٦١) سورة آل عمران : ٥٥ الحموية : ص ٦ .

(٦٢) من هذه الآية بعد قوله من هذا الخبر تكرار . المحقق .

(٦٣) دلالة الألفاظ على معانيها تشير الى عمليتين ، اجتماعية ، وذهنية . معقدتين فى أعلى درجات التعقيد والتداخل فواضع اللفظ اللغوى يضعه بازاء معنى معين لكى يدل اللفظ عليه وبتكرار ارتباط اللفظ بالمعنى ومقارنته لها يجعل الذهن متأهلا لكى يقوم بعمليتين فى وقت واحد حين يذكر اللفظ أمامه .

الاولى : أن يتصور اللفظ تصورا كاملا .

الثانية : أن ينتقل الى تصور المعنى تصورا كاملا كذلك وهذا الانتقال انما يكون بواسطة تكرار اللفظ بازاء المعنى بعد أن وضعه الواضعون بهدف الارتباط به

وأحيانا يدل اللفظ ، أو ينتقل الذهن عند سماع اللفظ وتصوره الى تصور معنى آخر خارجى عن المعنى الذى يدل اللفظ عليه ولكن بينه وبين هذا اللفظ ومعناه الذى يدل عليه صلة أى أن المعنى الخارجى يترتب على المعنى الأصلى الذى يدل اللفظ عليه ويلزم عنه وبعد هذا نقول « عند سماع لفظ معين وتصوره فى الذهن اذا انتقل الذهن الى تصور جميع معنى اللفظ كانت دلالة اللفظ على المعنى دلالة تطابق حيث دل اللفظ على جميع معناه وانطبق عليها . . فلفظ انسان يدل عى الكائن الحى المفكر ، فان تصور الذهن هذا المعنى بأكمله عند سماعه وتصوره لكلمة انسان كانت دلالة اللفظ على جميع معناه وهى الدلالة التطابقية .

=

الكشف والنفث فى الروع(٦٤) ؟ ولعله اعتقد ان الرفع انما يكون فى العلو فى الجهة ، فان كان كما خطر له فذاك ايضا لا يعقل الا فى الجسمية والحدية ، وان لم يقل بهما فلا حقيقة فيما استدل به ، وان قال بهما فلا حاجة الى المغالطة ولعله لم يسمع الرفع فى المرتبة والتقريب فى المكانة ، من استعمال العرب والعرف ، ولا « فلان رفع الله شأنه » .

واتبع ذلك بقوله : « اامنتم من فى السماء ان يخسف بكم الأرض »(٦٥) وخص هذا المستدل « من » بالله تعالى(٦٦) ، ولعله لم يجوز ان المراد به

=

اما اذا تصور الذهن جزء المعنى عند تصوره لكلمة انسان كأن يفهم منها الكائن الحى فقط أو يفهم منها المفكر فقط كان اللفظ فى هذه الحال دالا على جزء معناه وهو ما يسمونه بالدلالة التضمنية اذ أن ما فهمناه فى هذه الحال انما هو جزء من المعنى الكلى للفظ ومتضمن فيه أما اذا فهمنا من اللفظ معنى آخر خارجى مترتب على المعنى الأصلى لازم عنه ، كأن نفهم من لفظ انسان : مقدرته على تعلم الكتابة والخط أو المقدرة على الضحك والابتسام أو القدرة على التكيف وممارسة الحياة الاجتماعية كان هذا الفهم ضمن دلالة اللفظ على ماهو خارج عن معناه مرتبط به وهى الدلالة الالتزامية فتأمل المحقق .

(٦٤) الروع موضع الروع وهو القلب والروع الخوف عارض من اعراض القلب قال ذو الرمة : جذلان قد أفرحت عن روعه الكرب .

والنفث فى الروع مذهب فى التعليم يقول به الصوفية ويقول بنحوه المعلمون والفلاسفة وهو الحدس والنفث فى الروع والحدس هو المعنى الذى يقفز الى الذهن فجأة من غير أن يسير على قواعد العلم المعروفة . المحقق .

(٦٥) الملك — ١٦ — أنظر الجهوية ص ٦ .

(٦٦) وابن كثير تلميذه فى التفسير لم يجرؤ على التصريح بمثل هذا الجهل ولم يصرح بنفيه ابن كثير . سورة الملك — المحقق .

ملائكة الله تعالى ، ولعله يقول : ان الملائكة لا تفعل ذلك ، ولا ان جبريل عليه السلام خسف بأهل سدوم(٦٧) . فلذلك استدل بهذه الآية ، ولعلها هى النص الذى أشار اليه واتبعه بقوله تعالى « تعرج الملائكة والروح اليه »(٦٨) والعروج والصعود شيء واحد ، ولا دلالة فى الآية على ان العروج الى سماء ولا عرش ، ولا شيء من الاشياء التى ادعاها بوجه من الوجوه ؛ لأن حقيقته المستعملة فى لغة العرب فى الانتقال فى حق الأجسام ، اذ لا تعرفه العرب الا ذلك .

فليت لو(٦٩) أظهره واستراح من كتمانه . واردف بقوله تعالى : « يخافون ربهم من فوقهم »(٧٠) وتلك أيضا لا دلالة له فيها على سماءولا عرش ولا انه فى شيء من ذلك حقيقة .

---

(٦٧) سدوم اسم قرية من قرى بلاد الشام والمؤلف جرى على انها مسكن قوم لوط وهى التى حل بها العقوبة حيث نزل جبريل وجعل عاليها سافلها ففى لسان العرب أنها سميت بهذا نسبة الى قاضيها حيث كان بها قاضى يسمى سدوم — المحقق .

(٦٨) المعارج — ٤ .

قال بن منظور بعد كلام طويل فى مادة عرج (وعرج فى الدرجة والسليم يعرج عروجا أى ارتقى ... وفى التنزيل «تعرج الملائكة والروح اليه» أى تصعد وفيه أيضا « من الله ذى المعارج » المعارج : المصاعد والدرج — قال قتادة : ذى المعارج ذى الفواضل والنعم ...) الخ .

وابن كثير فى تفسيره لهذه الآية اظهر ميلا الى القول بالجهة واستشهد بحديث اعتبره ضعيفا وبعد أن حكم بضعفه قال : لكنه مشهور وله شاهد . تفسير ابن كثير ٤ : ٤١٨ ط عيسى البابى الحلبى .

(٦٩) لو خلت الجملة من اللفظة (لو) لكان افضل — المحقق .

(٧٠) النحل ٥٠ — الحموية ٧ .

ثم الفوقية ترد لمعنيين :

احدهما : نسبة جسم الى جسم ، بأن يكون أحدهما اعلى والآخر أسفل ، بمعنى ان اسفل الأعلى من جانب راس الاسفل ، وهذ لا يقول به من لا يجسم ، بتقدير ان يكون هو المراد وانه تعالى ليس بجسم فلم لا يجوز ان يكون « من فوقهم » صلة لـ « يخافون » (٧١) ويكون تقدير الكلام : يخافون من فوقهم ربهم . اى ان الخوف من جهة العلو ، وان العذاب يأتى من تلك الجهة .

وثانيهما : بمعنى المرتبة ، كما يقال : « الخليفة فوق السلطان » ، و « السلطان فوق الأمير » . وكما يقال : جلس فلان فوق فلان ، والعلم فوق العمل ، والصباغة فوق الدباغة(٧٢) ، وقد وقع ذلك فى قوله تعالى حيث قال : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات »(٧٣) ولم يطلع احدهم على اكتاف الآخر ، ومن ذلك قوله تعالى : (وانا فوقهم قاهرون)(٧٤) وماركبت القبط(٧٥) اكتاف بنى اسرائيل ، ولا ظهورهم .

---

(٧١) الجار والمجرور وكذا الظرف يحتاج كل منهما الى فعل او مايشبه الفعل ليتعلق به ويكون الجار والمجرور او الظرف متمما لمعنى الفعل او ما يشبهه حين يتعلق به ويسمى الجار والمجرور المتعلق صلة للفعل او صلة لما يشبه الفعل الذى يتمم معناه — كما هنا — فتأمل ، المحقق .

(٧٢) يريد ترتيب المهن والصنائع ويؤول كلامه الى ان مهنة الصباغة فوق مهنة الدباغة ، الخ .

والفوقية هنا بمعنى علو الرهبة لا علو المكان — المحقق .

(٧٣) سورة الزخرف آية ٣ .

(٧٤) سورة الاعراف آية ١٢٧ .

(٧٥) يقصد ان الآية السابقة رقم ١٢٧ الاعراف انما وردت على لسان

وأردف ذلك بقوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى »(٧٦) وورد هذا فى كتاب الله فى ست(٧٧) مواضع من كتابه ، وهى عمدة المشبهة وأقوى معتمدهم ، حتى انهم كتبوها على باب جامع همذان(٧٨) ، فلنصرف العناية الى ايضاحها ، فنقول : اما أنهـم يعزلون(٧٩) العقل بكل وجه وسبب ،

= فرعون وفرعون مصر ورعاياه هم القبط وسياق الآية يحدد المعنى [وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحى نساءهم وانا فوقهم قاهرون] ، المحقق .

(٧٦) سورة طه آية ٥ .

(٧٧) هكذا فى جميع النسخ والمعروف أن ورود الاستواء على العرش فى القرآن فى سبعة مواضع هى الأعراف ٥٤ ،يونس ٣ ، الرعد ٢ ، طه ٥ ، الفرقان ٥٩ ، السجدة ٤ ، الحديد ٤ وفى الحموية (فى سبعة مواضع) ولعل ابن جهبل يقصد فى ستة مواضع غير الموضع الذى أورده والا فانه يكون ساهيا ، والله أعلم ، المحقق .

(٧٨) همذان أو همدان : مدينة تقع فى ايران شمال شرق جبال زاجروس بين خطى عـرض ٣٤° ، ٣٦° شمال خط الاستواء وبين خطى عـرض ٤٨° — ٥٠° شرق خط جرينتش . المحقق .

(٧٩) فى مثل هذا الموقف من دراسة الصفات ينقسم العلماء حوله الى أكثر من فريق : الفريق الأول : يرى أنه يجب ان تمر هذه الآيات كما جاءت ونؤمن بها من غير محاولة الفحص عن معانيها أى أن هذا الفريق توقف يؤمن بالنص ويرجىء العلم بحقيقته الى الله عز وجل .

والفريق الثانى يرى أن هذه النصوص يجب أن تحمل كلها على معنى يليق بذات الله عز وجل كما يحمل الاستواء على الاستيلاء وهو معنى لا ترفضه لغة العرب .

والفريق الثالث : يرون أن هذه الآيات يجب أن تفهم على حقيقتها بغير تأويل على أساس أن الكلمة المستعملة اذا كانت تحتوى على معنيين تصلح

ولا يلتفتون الى ما سمى فهما وادراكا ، فمرحبا بفعلهم . وبقول (الرحمن على العرش استوى)، وان تعدوا هذا الى انه مستو على العرش فلا حبا ولا كرامة ، فان الله تعالى ما قاله(٨٠) ، مع أن علماء البيان كالمتفقين على

=
للدلالة على كل منهما احدهما قريب للذهن والآخر بعيد يجب ان نحمل اللفظ على معناه القريب المتبادر الى الذهن على سبيل المثال فان الاستواء يطلق على التمكن من الشيء والجلوس عليه ويطلق كذلك على الاستيلاء لكن دلالة الاستواء على الجلوس اقرب فيحمل اللفظ على معناه القريب .

ويلزم هـذا المذهب القول بالتجسيم مادام لا يحتمل التاويل واقربه بعضهم كابن الزاغونى وبن حـامد وابن مسنده ممن ينتسبون الى المذهب الحنبلى ولم يخالفوا فى ان يتصف الله بالجسمية وقد شدد عليهم بن تيمية النكير والف ابو الفرج بن الجوزى كتابا فى الرد عليهم . وهناك قسم آخر من هذا الفريق يقول : بأن اللفظ مفهوم المعنى ودلالته على معناه القريب ولكن بلا كيف وهذا مذهب فى الحقيقة غير مفهوم اذا المعنى القـريب من الاستواء الجلوس المادى والبلكفة تنفيه وهضم هذه المسالة على هـذا النحو صعب ويمثل هذا الاتجاه شيخ الاسلام بن تيمية وغيره ممن وافقه على مذهبه وهو موضع النقاش هنا كما ترى فتامل . المحقق .

(٨٠) لكى نفهم هذه المسالة يجب ان نشير الى ما يهدف اليه بن جهل بشيء من الايضاح هو فى هذا الاحتمال الاول الذى يقول بان الفريقين يتفقان على عدم اعمال العقل فى النص وما دام الامر كذلك فانه ينبغى الوقوف عند لفظ الآية والنص فيه التعبير بالفعل (استوى) فلا يجوز ان نعـدل عن الفعل الماضى الى اسم الفاعل المشتق منه كأن نقول اذا هو مستوى على العرش لان المعنى هنا يتغير فالفعل (استوى) لا يفيد الا حـدثا فى زمن اما الاسم المشتق منه (مستو) فانه يفيد استمرار الصفة ذلك ان علماء البيان فى اللغـة العربية يكادون يتفقون على ان اسم الفاعل وصـف يدل على الاستمرار والتجدد والله عز وجل ما قال ذلك فان وقفنا عند حدود ما قاله الله عز وجل (استوى) فمرحبا به وان غيرنا اللفظ الى قولنا (هو مستو) فلا مرحبا بالتغيير بعد افتراض اننا لن نقبل اعمال العقل فى النص . المحقق .

أن فى اسم الفاعل من الثبوت ما لا يفهم من الفعل . وإن قالوا : هذا يدل على أنه فوقه ، فقد تركوا ما التزموه ، وبالغوا فى التناقض والتشهى والجسراة .

وان قالوا : بل نبقى العقل ، ونفهم ما هو المراد ، فنقول لهم : ما هو الاستواء فى كلام العرب ؟ فان قالوا : الجلوس والاستقرار . قلنا : هذا ما تعرفه العرب الا فى الجسم فقولوا : يستوى جسم على العرش . وان قالوا جلوس واستقرار نسبته الى ذات الله تعالى ، كنسبة الجلوس الى الجسم .

فالعرب لا تعرف هذا حتى يكون هو الحقيقة ، ثم العرب تفهم استواء القدح الذى هو ضد الاعوجاج ، توصفوه بذلك وتبرعوا معه من التجسيم ، وسدوا باب الحمل على غير الجلوس ، ولا يسدونه فى قوله تعالى : « وهو معكم أين ماكنتم »(٨١) وقوله تعالى : « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد »(٨٢) ، ولا تقولوا : معهم بالعلم .

وان قلتم ذلك فلم تحلونه عاما وتحرمونه عاما ؟ ومن أين لكم أن ليس الاستواء فعلا من افعاله تعالى فى العرش(٨٣) ؟

---

(٨١) سورة الحديد (٤) .

(٨٢) سورة ق آية ١٦ .

(٨٣) يريد المؤلف بهذا الاحتمال أن يقول أن الاستواء هنا معناه أن يتدخل الفاعل لاصلاح شيء فى المفعول من باب استقام القدح اى أعتدل بعد اعوجاج ويقال لهذه الاستقامة بعد الأعوجاج استواء « والاستواء بهذا المعنى يكون اثرا من آثار الفعل اى فعل الفاعل فى المفعول بخلاف الاستواء بمعنى الجلوس الذى هو صفة من صفات الذات فتأمل . المحقق .

فان قالوا : ليس هذا كلام العرب(٨٤) . قلنا : ولا كلام العرب «استوى» بالمعنى الذى تقولونه بلا جسم .

ولقد رام المدعى التفلت من شرك التجسيم ، بمازعمه من أن الله تعالى فى جهة ، وانه استوى على العرش استواء يليق بجلاله . فنقول له : قد صرت الآن الى قولنا فى الاستواء(٨٥) واما الجهة فلا تليق بالجلال . واخذ على المتكلمين قولهم : ان الله تعـالى لو كان فى جهة . فاما أن يكون اكبر أو أصغر أو مساويا ، وكل ذلك محال . قال : (فلم يفهموا من قوله تعالى : « على العـرش » الا ما يثبتون لأى جسم كان على أى جسم كان .... وقال : وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم ، واما استواء يليق بجلال الله فلا يلزمه شىء من اللوازم) فنقول له : اتميميا مرة وقيسيا اخرى ! اذا قلت : استوى استواء يليق بجـلال الله ، فهو مذهب المتكلمين ، اذا قلت : استواء هو استقرار واختصاص بجهة دون اخرى لم يجد ذلك تخلصا من الترديد المذكور ، والاستواء بمعنى الاستيلاء واشهد له ، فى هذه الآية انها لم ترد قط الا فى اظهار العظمة والقدرة والسلطان والملك ، والعرب تكنى بذلك عن الملك فيقولون فلان استوى على كرسى المملكة ، وان لم يكن جلس عليـه مدة

---

(٨٤) يبدو ان هذا افتراض جدلى من المؤلف والا فالمادة عند العرب معروفة بهذا المعنى ووضع (استوى) بمعنى اعتـدل على الحقيقة الاعلى المجاز فى لسان العرب قوله استوى الشىء : اعتدال ج ٣ : ٢١٦٣ .

(٨٥) جميع المسلمين الا من شذ يقولون بأن الله استوى على العرش استـواء يليـق بذاته والاسـتواء الذى يليـق بذاته لا يحتمـل معنى الجسمية ابدا وهذه عقيدة ابن تيمية وخصومه وما جرى بينهم من خلاف انما هو مبنى على العبارة التى عبر بها كل عن مذهبه والمنهج الذى اخذ كل فريق به نفسـه والاستنتاج الذى استنتجه البعض من هذه القضية كأن نستنتج من الاستواء على العرش نتيجة مؤداها أن الله فى جهة معينة ولو كانت هى جهة العلو اذ لا يتحملها النص . المحقق .

واحـدة ، ويريدون بذلك الملك . وأما قولهم : فان حملتم الاسـتواء على الاستيلاء لم يبق لذكر العـرش فائدة ، فان ذلك فى حق كل المخـلوقات ، فلا يختص بالعرش . فالجواب عنه : ان كل الموجودات لما حواها العرش كان الاستيلاء عليـه اسـتيلاء على جميعها ، ولا كذلك غيره ، وأيضا فكناية العرب السـابقة ترجحه ، وقـد تقدم الكلام عن السلف فى معنى الاستواء ، كجعفر الصادق ومن تقدم .

وقولهم : (استوى بمعنى استولى ، انما يكون فيما يدافع عليه) . قلنا : واستوى بمعنى جلس أيضا انما يكون فى جسم ، وأنتم قد قلتم انكم لا تقولون به ، ولو وصفوه تعالى بالاستواء على العرش لما انكرنا عليهم ذلك ، بل نعـدهم الى ما يشبه التشبيه ، أو هـو التشبيه المحـذور ، والله الموفق .

واستدل بقوله تعالى حكاية عن فرعون : « يا هامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع الى اله موسى »(٨٦) فليت شعرى كيف فهم من كلام فرعون ان الله تعالى فوق السموات . وفوق العرش يطلع الى اله موسى ؟! اما ان اله موسى فى السموات فما ذكره(٨٧) ، وعلى تقدير فهم ذلك من كلام فرعون فكيف يستدل بظن فرعون وفهمه ، مع اخبار الله تعالى عنه انه زين له سوء عمله ، وانه جاد عن سبيل الله عز وجل ، وان كيدة فى ضلال (٨٨) ؟ !

---

(٨٦) غافر — ٣٦ — ٣٧ . والحموية ص ٧ .

(٨٧) يقصد انه ماورد هذا الاحتمال فى النص صراحه اذ لم تقل الآية على لسان فرعون ان اله موسى فى السماء . المحقق .

(٨٨) يشـير الى الآية التـالية للآية التى اسـتدل بهـا ابن تيمية فى مسألة الجهة حكاية عن فرعون « .... وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وماكيد فرعون الا فى تباب » غافر ٣٧ . المحقق .

مــع انه لمـــا ســـأل موسى عليــه الســـلام وقال : ومـــارب السموات(٨٩) ؟ لم يتعرض موسى عليه السلام للجهة ، بل لم يذكر الا اخص الصفات ، وهى القدرة على الاختراع ولو كانت الجهة ثابته لكان التعريف بها اولى ، فان الاشارة الحسية من أقوى المعــرفات حسيا وعرفا(٩٠) ، وفرعون سأل بلفظه (ما) فكان الجواب بالتحيز اولى من الصفة ، وغاية — ما فهمه من هذه الآية واستدل به(٩١) — فهم فرعون ، فيكون عمدة هذه

---

(٨٩) لعله سهو من الناسخ فلم يرد فى القرآن ان فرعون سأل موسى عن رب السماوات والارض انما ورد هذا فى جواب موسى على فرعون ففى سورة طه : قال فرعون « ومارب العالمين » قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا نضل ربى ولا ينسى » طه (٤٩ : ٥٢) وفى سورة الشعراء « قال فرعون ومارب العالمين قال رب السماوات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين » الشعراء : ٢٣ : ٢٤ . ولعل النص الأخير هو المشار اليه هنا ، فتأمل . المحقق .

(٩٠) يقصد ان يقول : انه لو كانت الجهة ثابتة لكان من السهل على موسى ان يجيب فرعون حين ســـأله — ومارب العالمين — أن يقــول : هو هنا فى السماء حيث ان الاشارة الحسية الى الجهة أقوى من تحرير الادلة العقلية واخصر طريقا لكن موسى عدل عن هذه الطريقة المختصرة الى اخفى صفات الله عز وجل وهى الخلق والابداع والتربية والتعهد فقال : رب السماوات والارض وما بينهما . وليس هناك من تبرير لعــدول موسى عن الطريقة الواضحة الى الطريق التى سلكها الا أن تقول : ان هذه الطريقة الواضحة التى يبغيها ابن تيمية وهى أن الله فى جهة ليس عقيدة موسى عليه الســـلام ولا عقيدة غيره من الانبياء . اذا كان فيها اشارة حسية او تحمـــل معنى التحيز المكانى . المحقق .

(٩١) وغاية ما فهمه يقصد ابن تيمية ومعنى الجملة على الاجمال ان

العقيدة كون فرعون ظنها ، فيكون هو مستندها ، فليت شـــعرى لم لا ذكر النسبة(٩٢) اليه كما ذكر ان عقيدة سادات أمة محمد ﷺ ، الذين خالفوا اعتقاده فى مسألة التحيز والجهة والذين الحقهم بالجهمية ، متلقاه من لبيد بن الأعصم اليهودى الذى سحر النبى ﷺ ؟ . وختم الآيات الكريمة بالاستدلال بقـــوله : « تنزيل من حكيم حميـــد »(٩٣)، « منزل من ربك بالحق »(٩٤) وما فى الآيتين لا عرش ولا كرسى ولا سماء ولا أرض ، بل ما فيهما الا مجرد التنزيل ، وما ادرى من أى الدلالات استنبطها المدعى ! فان السماء لا تفهم من التنزيل ، فان التنـــزيل قد يكون من السماء وقد يكون من غـــيرها ، ولا تنزيل القرآن كيف يفهم منه النزول ، الذى هو انتقال من فوق الى أسفل! فان العرب لا تفهم ذلك فى كلام ، ســـواء كان من عرض أو غير عرض ، وكما تطلق العرب النزول على الانتقال تطلقه على غيره ، كما جاء فى كتابه العـــزيز « وانزلنا الحديد فيه بأس شديد »(٩٥)، وقوله تعـــالى : « وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج »(٩٦)، ، ولم ير أحد قطعة حديد نازلة من السماء

=

الشيخ يريد أن يقول ان ما فهمه ابن تيمية من هذه الآية هـــو نفسه مافهمه فرعون فهما عاما كما حكته عنه هذه الآية ففرعون قد توهم ان الله فى السماء ودرج ابن تيمية على مسلكه . المحقق .

(٩٢) يعنى أن ابن تيمية درج على منهج فرعون فى مثل هذه الجزئية من عقيـــدته وفى الاســـتدلال عليهـــا ويتعجب ابن جهبل لمـــا لم يصرح ابن تيمية بأنه ينتسب الى فرعون كما صرح بأن أتباع محمد ﷺ من علماء الأمة كبارها هم أتباع الفلاسفة وفراخ اليهود والهند وقد أخذوا عقيدتهم عن الجهمية التى تلقت هى بدورها عقيدتها عن لبيد بن الأعصم اليهودى الذى سحر النبى ﷺ . المحقق .

(٩٣) سورة فصلت آية ٤٢ .

(٩٤) سورة الأنعام آية ١١٤ .

(٩٥) سورة الحديد آية ٢٥ .

(٩٦) سورة الزمر آية ٦ .

فى الهواء ، ولا جملا يحلق من السماء الى الارض،فكما جوز هنا ان النزول(٩٧) غير الانتقال من العلو الى السفل ، فليجوزه هناك . هذا آخر ما استدل به من الكتاب العزيز ، وقد ادعى اولا : انه يقول ما قاله الله ، وان ماذكره من الآيات دليل على قوله ، اما نصا واما ظاهرا(٩٨) ، وانت اذا رأيت ما ادعاه ، وامعنت النظر فيما قلناه ، واستقرأ تهذه الآيات ، لم تجد فيها كلمة على وفق ما قاله اولا ، لا نصا ولا ظاهرا البته ، وكل أمر بعد كتاب الله تعالى والدعوى عليه خلل .ثم استدل من السنة بحديث المعراج(٩٩)،

---

(٩٧) هنا يقصد فى آيتى [وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد] ، [وأنزل لكم من الانعام ثمانية ازواج] حيث ان النزول فيهما لا يحمل هذا الانتقال فى المكان . المحقق .

(٩٨) يشير الى قول ابى تيمية فى الحموية [. . . فهذا كتاب الله من أوله الى آخره وسنة رسوله ﷺ من أولها الى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأمة مملوء بما هو اما نص واما ظاهر فى ان الله سبحانه وتعالى هو العلى الأعلى ، وهو فوق العرش . . . الخ] الحموية ص ٦٠ .

وقد تكررت العبارة على هذا النحو فى مواضع من الحموية ولا يخفى ما فيها من اتساع وشمول بحيث توحى الى القارئ وكأن القرآن الكريم من أوله الى آخره وكذا السنة وكلام الأمة لاهم لهم الا هذه المسألة فلم يوجد القرآن الا لها ولم تنصب السنة الا للدفاع عنها وشغل علماء الأمة الشاغل هو حمل الناس على القول بأن الله فى جهة وهى جهة العلو مستو على عرشه بالمعنى القريب ومن يخالف ذلك يكون من فراخ الفلاسفه وتلاميذ اليهود وتربية لبيد بن الأعصم وبالله من حيرة على حيرة ؟ ! — المحقق .

(٩٩) اشار ابن تيمية الى حديث المعراج ولم يذكره فهو يقول [وفى الأحاديث الصحاح والحسان مالا يحصى الا بالكلفة مثل قصة معراج الرسول الى ربه . . . .] الحموية ص ٧ ونص الرواية كما فى مسلم بالسند الى

انس بن مالك قال ان رسول الله ﷺ قال : اتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل ﷺ ، اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل : وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم.فرحبىودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من انت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال . . محمد قيل وقد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكرياء صلوات الله عليهما فرحبا ودعوا لى بخير ثم عرج بى الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من انت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد ﷺ قيل وقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف ﷺ اذا هو قداعطى شطر الحسن فرحب ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قال وقد بعث اليه قال : قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب ودعا لى بخير قال الله عز وجل ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معلك ؟ قال محمد قال وقد بعث اليه قال : قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهارون ﷺ فرحب ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى ﷺ فرحب ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا ؟ قال : جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد ﷺ قيل وقد بعث اليه قال:

ولم يرد حديث المعراج ان الله فوق السماء او فوق العرش حقيقة ، ولا كلمة واحدة من ذلك ، وهو لم يسرد حديث المعراج ولا بين الدلالة منه ، حتى نجيب عنه ، فلو بين وجه الاستدلال عرفناه كيف الجواب . واستدل بنزول الملائكة من عند الله تعالى (١٠٠) ، والجواب عن ذلك أن نزول الملائكة من

قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم ﷺ مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال ، قال فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فأوحى الله الى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت الى موسى ﷺ فقال ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتكم لا يطيقون ذلك فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم . قال فرجعت الى موسى فقلت يارب خفف على أمتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عنى خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل ارجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئه فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى ﷺ فأخبرته . فقال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله ﷺ فقلت قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه) مسلم جزء ٢/ ٢١٠ وما بعدها المطبعة المصرية — القاهرة .

(١٠٠) فى الحموية ص ٧ اجتزأ من الحديث المروى فى البخارى ولم يذكر الرواية بتمامها وهى بالسند الى أبى هريرة [أن رسول الله ﷺ قال : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم : — وهو أعلم بهم — : كيف

السماء انما كان لأن السماء مقبرهم ، والعنديه لا تدل على ان الله فى السماء ، لأنه يقال فى الرسل الآدميين انهم من عند الله ، وإن لم يكونوا نزلوا من السماء ، على أن العنديه قد يراد بها الشرف والرتبه ، قال الله تعالى « وان له عندنا لزلفى وحسن مآب (١) » ، وتستعمل فى غير ذلك ، كما قال رسول الله ﷺ ، حكاية عن ربه عز وجل : « انا عند ظن عبدى بى »(٢) .

وذكر عروج الملائكة ، وربما شـد فقار ظهره ، وقـوى متنبه(٣) بلفظـه « الى ربهم » وأن « الى » لانتهـاء الغـاية ، وانهـا فى قطـع

تركتم عبـادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، واتيناهم وهم يصلون ؛ البخارى : كتاب المواقيت ب ١٦ ج/٥٥٥ . سلفية .

وللحديث روايات آخر/مسلم : مساجد ٢١٠/نسائى : صلاة : ٢١/ الوطأ : السفر ٨٢ أحمد بن حنبل المسند فى أكثر من موضع ج ٢ : ٢٥٧ ، ٣١٢ ، ٤٨٦ .

(١) سورة ص آية ٢٥ .

(٢) الحديث بنصه فى البخارى بالسند الى أبى هريرة رضى الله عنه قال [قال النبى ﷺ يقول الله تعالى : انا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، وان أتانى يمشى أتيته هرولة] البخارى — كتاب التوحيد باب ١٥/ج/٧٤٠٥ السلفية والحديث بجميع رواياته يأبى حمله على الجهة أو ان يفهم منه معنى حسيا . المحقق .

ولـه روايات أخرى فى/مسلم ٢ : ١٨ ، ١٩ ، ٢١ وفى الترمذى وابن ماجه وأحمد ١٠٦ .

(٣) متنه : عامل شد وقوى والمعنى ان ابن تيمية حين حصل على جملة من الحديث السابق مشتملة على حرف الجر الى الذى يفيد الغاية الحسية فى قوله ﷺ عن الملائكة فيعرج الذين باتوا فيكم الى ربهم كان عثوره على هذه الفعلة فى الحديث — الى — عامل قوى ظهره وشد فقاره حتى يقوى على النقاش فتامل المحقق .

المسافة ، واذا سكت(٤) عن هذا لم يتكلم بكلام العرب : فان المسافة لا تفهم العرب منها الا ما تنتقل فيه الاجسام ، وهو يقول : انهم لا يقولون بذلك ، وقد قال الخليل ﷺ : « انى ذاهب الى ربى »(٥) وليس المراد بذلك الانتهاء الذى عناه المدعى بالاتفاق ؟ فلم يجترى على ذلك فى كتاب الله تعالى ، ولا يجاب به فى خبر الواحد(٦) !

وذكر قوله ﷺ : « الا تأمنونى وأنا امين من فى السماء ، يأتينى خبر من فى السماء صباحا ومساء »(٧) وليس المراد بمن هو الله تعالى ، ولا ذكر

---

(٤) يشير الى ابن تيمية قد امتلأ زهوا حين عثر على لفظه — الى — ليستدل بها على ان الله فى جهة ولكن ابن جهبل يريد أن يحمل ابن تيمية جميع المعنى او يجبره على ترك المعنى كله فلفظه الى فى كلام العرب تفيد الجهة وتفيد معها قطع المسافة والانتقال الحسى فى المكان فان اراد ابن تيمية أن يفهم من لفظه « الى » الدلالة على الجهة فقط ويسكت عند هذا الحد ولا يضيف الى ما ذهب اليه قطع المسافة الحسية والانتقال فى المكان يكون قد فسر معنى الحرف « الى » على هواه وقصره على بعض معانيه دون البعض الآخر وهو امر لا تعرفه لغة العرب ولا يفهمه العربى حين يستعمل الحرف « الى » فى كلامه . المحقق .

(٥) الصفات — ٩٩ .

(٦) وقع الخلاف بين العلماء حول الاخذ بخبر الواحد فى مجال العقائد اجازه البعض ورفضه آخرون .

(٧) الحموية ص ٧ — واللفظ للبخارى وهو فى قصة طويلة مطلعها أن البخارى قد روى بالسند الى ابى سعيد الخدرى قال [بعث على بن أبى طالب رضى الله عنه الى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة فى اديم مكروظ لم تحصل من ترابها قال:فقسمها بين أربعة — نفر — بين عيينة بن بدر والاقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع اما علقمة واما عامر بن الطفيل . فقال رجل من اصحابه : [كنا نحن احق بهذا من هؤلاء فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : الا تأمنونى . . .] الى آخر ما جاء فى الاصل وله تتمه وزيادة . البخارى كتاب المغازى ب/٦٠ج/٤٣٥١ . وقد روى أيضا فى مسلم ومسند الامام احمد . المحقق .

النبى ﷺ ذلك ، ولا خصه به ، ومن اين للمدعى أنه ليس المراد « بمن » الملائكة ، فانهم اكبر المخلوقات علما بالله تعالى ، واشدهم اطلاعا على القريب ، وهم يعلمون ان رسول الله ﷺ أمين ، وهو عندهم فى هذه الرتبة ؟ فليعلم المدعى انه ليس فى الحديث ما ينفى هذا ، ولا يثبت ما ادعاه .

ثم ذكر حديث الرقية : « ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك أمرك فى السماء والأرض ، كما رزقك فى السماء »(٨) الحديث . وهذا الحديث بتقدير ثبوته(٩) ، فالذى ذكره النبى ﷺ فيه : « ربنا الذى فى السماء تقدس

---

(٨) النص كما ذكره ابن تيمية « ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك وامرك فى السماء والأرض كما رحمتك فى السماء اجعل رحمتك فى الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع » الحموية ص ٧ ، وهو فى ابى داود بزيادة لفظه (فيبرأ) فى آخره طب ١٩ والحديث عن أبى الدرداء قال « سمعت رسول الله .... » ، وفى مسند أحمد بسنده الى ابن عبيد الأنصارى « قال علمنى النبى ﷺ رقية وامرنى أن أرقى بها من بدا قال لى قل ربنا الله الذى فى السماء » ثم ساق الرواية قريبا مما ذكره أبو داود . أحمد ج ٦/ص ٢١ .

(٩) كأنه يشير بعبارته التى تفيد التردد فى قبول الحديث الى بعض طرقه وفيه « زيادة بن محمد الأنصارى » (قال : أبو حاتم الرازى : هو منكر الحديث ، وقال البخارى والنسائى : منكر الحديث ، وقال ابن حبان : منكر الحديث جدا ، يروى المناكير من المشاهير فاستحق الترك وقال ابن عدى : لا اعرف له الا مقدار حديثين أو ثلاثة . روى عن الليث وابن لهيعة ومقدار ماله : لا يتابع عليه ، وقال ايضا : اظنه مدنيا) . انظر مختصر سنن أبى داود للحافظ المنذرى تحقيق محمد حامد الفقى جـ ٥ حديث ٣٧٤٣ ص ٣٦٥ وما بعدها .. وانظر تهذيب التهذيب لابن حجر كذا تقريب التهذيب

وقد ساق الحاكم هذه الرواية فى مستدركه طب ٤/٢١٩ وحكم عليها بانها صحيحة الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاها وقد علمت ان فى

اسمك » ما بينت النبي ﷺ على « في السماء » فلأي معنى نقف نحن عليه ؟!

ونجعل « تقدس اسمك » كلاماً مستأنفاً ؟ هل فعل رسول الله ﷺ هكذا ، أو أمر به؟ وعند ذلك لايجد المدعي مخلصاً الا ان يقول: الله تقدس اسمه في السماء والأرض ، فلم خصصت السماء بالذكر ؟ فنقول له : ما معنى « تقدس » ؟ ان كان المراد به التنزيه من حيث هو تنزيه فذلك ليس في سماء ولا ارض، اذ التنزيه نفي النقائص ، وذلك لا تعلق له بجرباء ولا غبراء(١٠) ؛ فان المراد ان المخلوقات تقدس وتعترف بالتنزيه ، فلا شك ان أهل السماء مطبقون على تنزيه تعالى ، كما انه لا شك ان في أهل الأرض من لم ينزه ، وجعل له نداً ، ووصفه بما لا يليق بجلاله ، فيكون تخصيص السماء بذكر التقديس فيها لا نفراد أهلها بالاطباق على التنزيه ، كما انه سبحانه لما انفرد في الملك في يوم الدين عمن يتوهم ملكه خصصه بقوله تعالى : « مالك يوم الدين »(١١) ، وكما قال سبحانه وتعالى بعد دمار من ادعى الملك والملك : « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار »(١٢) . وأعاد هذا المدعي الحديث من أوله ، ووصل الى أن قال : فليقل (ربنا الذى فى السماء)(١٣).

الرواية « زيادة بن محمد الانصاري » وفيه ما فيه ورواية أحمد لا ترفعها اذ قال (حدثنا عبيد الله حدثني أبي ثنا أبو اليمان قال ثنا أبو بكر يعني ابن مريم عن الاشياخ عن فضالة بن عبيد الانصاري ....) وفي هذا السند كما هو ظاهر مجهول لا يجبر الضعف في الرواية الأولى أحمد ٦/٢١ . اهـ . المحقق.

(١٠) يقصد : السماء والأرض .

(١١) سورة الفاتحة آية ٤ .

(١٢) سورة غافر آية ١٦ .

(١٣) ذكر ابن تيميـة الحديث بطوله في الحموية على نحو ما أشرنا ثم عاد وذكر رواية أخرى ووقف على قول النبي ﷺ « ربنا الذي في السماء » . وهذه عبارته قال بعـد ان ذكر الحديث قال ﷺ « اذا اشتكى أحد منكم او اشتكى أخ له فليقل ربنا الله الذي في السماء » اهـ ص ٧ ، ويرى ابن جهبل أن في هذا البتر للحديث ايهام للسامع والقارىء . المحقق .

قال : وذكره ووقف على قوله « فى السماء » فليت شعرى هل جوز أحد من العلماء أن يفعل مثل هذا ؟ وهل هـــذا الا مجـــرد ايهام أن ســـيد المرسلين ﷺ وعليهم ـــ (١٤) قال : « ربنا الله الذى فى السماء » ؟

وأما حديث الأوعال ، وما فيه من قوله : « والعرش فوق ذلك كله »(١٥)

---

(١٤) ضمير الجمع هنا راجع « للمرسلين » الموجودة فى قوله « بسيد المرسلين » فضمير المفرد للنبى ﷺ وضمير الجمع راجع الى المرسلين . المحقق .

(١٥) فى الحموية (وقوله فى حديث الأوعال « والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه ص ٧ .

والحديث فى سنن أبى داود « حدثنا محمد بن الصباح البزار . حدثنا الوليد بن أبى ثور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال : كنت فى البطحاء فى عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة فنظر اليها فقال « ما تسمون هـــذه » ؟ قالوا : السحاب قال « والمزن » قالوا والمزن قال « والعنان » قالوا والعنان ـ قال أبو داود لم أتقن العنان جيدا ـــ قال « هل تدرون ما بعد السماء والأرض ؟ « قالوا لا ندرى » قال ـــ ان بعد ما بينهما اما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك » حتى عد سبع سموات . ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعـــلاه مثل ما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك . ا هـ أبو داود كتاب الســـنة باب فى الجهـــة ج ٢ : ٥٨١ ط . مصطفى البابى الحلبى .

وذكر الذهبى له ترجمة حكى له فيها انه سىء الحديث والرواية سىء الصلاة والمناظرة حكى الشافعى أن الفضل بن الربيع رغب فى مناظرته فلم يثبت للمناظرة فى الفروع على مذهب الامام أبى حنيفـــة . الذهبى ميزان الاعتدال ١/٤٩٦ . المحقق .

. . . .

[واخرجـه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى : حسن غريب وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك فوقفه هذا آخر كلامه .

وفى اسناده : الوليدين ابى ثور ولا يحتج بحـديثه] مختصر ابى داود للمنذرى جـ ٧ ص ٩١/ح ٤٥٥٨ .

واخرج ابو داود بعض هذا الحديث من رواية جبير بن مطعم عن ابيه عن جـده قال « اتى رسول الله ﷺ اعرابى فقال يا رسول الله جهـدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق الله لنـا فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك . قال رسول الله ﷺ : ويحك اتدرى ما تقول ؟ وسبح رسول الله ﷺ فمازال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه اصحابه ثم قال : ويحك انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه شأن الله اعظم من ذلك ويحك اتدرى ما الله ؟ ان عرشه على سمواته لهكذا وقال باصابعه مثل القبه عليه — وانه ليئط به اطيط الرحل بالراكب — قال من بشار فى حديثه ان الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته وساق الحديث » ابو داود كتاب السنن جـ ٢ ص ٥٨٣ .

قال ابو بكر البزار . وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبى ﷺ من وجه من الوجوه الا من هذا الوجه ولم يقل فيه عن ابن اسحاق « حدثنا يعقوب ابن عقبة » هذا آخر كلامه ابن اسحاق مدلس واذا قال المدلس « عن فلان » ولم يقل « حدثنا او سمعت او اخبرنا » لا يحتج بحديثه والى هذا اشار البزار مع أن ابن اسحاق اذا صرح بالسماع اختلف الحفاظ فى الاحتجاج بحديثه فكيف اذا لم يصرح به ؟ وقد رواه يحيى بن معين فلم يذكروا فيه لفظة «به» وقال الحافظ ابو القاسم الدمشقى : ولكن تفرد به يعقوب بن عقبة بن المغيرة بن الأخنس الثقفى الاخنس عن جبير بن محـمـد بن مطعم القـرشى النوفلى وليس لهما فى صحيحى ابى عبد الله بن اسماعيل البخارى وابى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى رواية وانفرد به محمد بن اسـحاق بن يسار عن يعقوب . وابن اسحاق لا يحتج بحديثه وقد طعن فيه غير واحد من الائمة

فهـذا الحديث قد كثر منهم ايهام العوام لنهـم يقولون به ، ويروجون به زخارفهم ، ولا يتركون دعوى من دعاويهم عاطلة من التحلى بهذا الحديث ، ونحن نبين انهم لم يقولوا بحرف واحد منه ، ولا استقر لهم قدم بأن الله تعالى فوق العرش حقيقة ، بل نقضوا ذلك ، وايضاح ذلك بتقديم ما أخر هذا المدعى ، قال فى آخر كلامه(١٦) : ولا يظن الظان ان هذا يخالفه ظاهر قوله تعالى : « وهو معكم(١٧) أينما كنتم » وقول النبى ﷺ : « اذا قام احدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه »(١٨) ، ونحو ذلك . قال [فان هـذا

وكذبه جماعة منهم « المنذرى » فى مختصر سنن ابى داود ج ٧ من/٩٤/ وما بعدها ح رقم ٤٥٥٩ . وقال بن كثير فيه بعد كلام له عن غيره فى نفس الموضوع [واغرب من هذا حديث جبير بن مطعم فى صفة العرش كما رواه أبو داود فى كتاب السنة من سننه والله اعلم ابن كثير التفسير ج ١ : ٣١٠ ط عيسى الحلبى . المحقق .

(١٦) تصرف بن جهبل فى بعض الالفاظ الدالة على المعنى ولكنه حافظ على المعنى حفاظا كاملا والنص من الحموية [. . . ولا يحسبه الحاسب ان شيئا من ذلك يناقض بعضه بعضا البتة مثل ان يقول القائل ما فى الكتاب والسنة من الله فوق العرش يخالفه فى الظاهر قوله (وهو معكم أينما كنتم الحديد ٤) وقوله ﷺ اذا قام احدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهة ونحـو ذلك/المحقق .

(١٧) سور الحديد آية ٤ .

(١٨) الحموية : ٧ ، ورواية البخـارى بالسند الى عبد الله بن عمر ان رسول الله ﷺ رأى بصاقا فى جدار القبلة فحكه ، ثم اقبل على الناس فقال « اذا كان احدكم يصلى فلا يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجه اذا صلى » ؛ . البخارى كتاب الصلاة باب ٣٣ حديث ٤٠٦ . وانظر البخارى أيضا حديث ٧٥٣ ، ح ١٢١٣ ، حـ ١١١١ ولم يفهم احد من الحديث أن الله فى كل مكان سوى المعتزله وبعض الشذاذ من الحلولية أو الاتحادية .

غلط ظاهر ، وذلك أن الله تعالى معنا حقيقة ، وهو فوق العرش حقيقة [(١٩)] قال : [كما جمع الله بينهما فى قوله سبحانه وتعالى : « هو الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير »](٢٠) قال هذا المدعى بملء ماضغتيه(٢١) من غير تكتم ولا تلعثم : [فقد أخبر الله تعالى أنه فوق العرش ، ويعلم كل شىء

= والحديث معروف عن ظاهره وهو مناقض فى نفس الوقت لمن قال إن النص فى القرآن أو السنة لا يؤول مهما أدى الى مزالق الخطر كالقائلين بالجهة .

وقال ابن حجر تعليقا على بعض ما ورد فى الحديث ((« ... فان الله قبل وجهه ») قال الخطابى : معناه أن توجهه الى القبلة مفض بالقصد منه الى ربه فصار فى التقدير : فان مقصوده بينه وبين قبلته . وقال ابن عبد البر : هو كلام خرج على التعظيم لشأن القبلة . وقد نزع به بعض المعتزلة القائلين بأن الله فى كل مكان . وقيل هو على حذف مضاف أى عظمه الله أو ثواب الله . ويرجح هذا التأويل روايات أخرى تقرب من هذه الرواية وان اختلفت عنها قليلا فى موضوعها أخرج أحمد بالسند الى أبى ذر الغفارى أن رسول الله ﷺ قال « اذا قام أحدكم الى الصلاة فان الرحمة تواجهه فلا يحرك الحصى أو لا يمس الحصى » المسند ج ٥/ ١٥٠ ، ١٧٩/٥ . المحقق .

(١١٩) هذه عصبيه للمنهج الذى لم يوافقه عليه الا الأقلون والقاعدة المنهجية التى تمسك بها ابن تيميه هنا هى انه لايجوز التأويل فى القرآن ويقصد بالتأويل الممنوع أن يكون اللفظ له معنيان أحدهما قريب متبادر الى السمع والذهن والآخر بعيد ينتقل اليه الذهن اذا دلت عليه قرينه ومن المعروف عند العلماء انه يجب الانتقال من المعنى القريب الى المعنى البعيد اذا كانت هناك قرنية توجب هذا الانتقال ولما كان ابن تيميه لا يوافق على هذا ورثه هذا التعصب فى مثل ما يقول به هنا . فتأمل . المحقق .

(٢٠) الحموية : ٧٠ والآية فى سورة الحديد : ٤ .

(٢١) كما نقول نحن — بملء فيه — .

وهو معنا أينما كنا » كما قال ﷺ في حديث الأوعال : « والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه [ ] »(٢٢) فقد فهمت أن هذا المدعي يدعي أن الله فوق العرش حقيقة ، واستدل بقوله تعالى : « ثم استوى على العرش » ، وجعل ان ذلك من الله تعالى : خبر أنه فوق العرش ، وقد علم كل ذي ذهن قويم وفكر مستقيم ، ان لفظ « استوى على العرش » ليس مرادفا للفظ « فوق العرش » حقيقة ، وقد سبق منا الكلام عليه ، ولا في الآية ما يدل على الجمع الذي ادعاه ، ولا بين التقريب في الاستدلال ، بل سرد آية من كتاب الله تعالى لا يدرى هل حفظها أو نقلها من المصحف ، ثم شبه الآية في الدلالة على الجمع بحديث الأوعال ، [قال] [كما قال ﷺ فيه : « والله فوق العرش » ، وقد علمت أنه ليس في الحديث ما يدله على المعية(٢٣) ، بل لا مدخل لـ [مع] في الحديث](٢٤) ، قال [وذلك أن « مع » اذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة الا للمقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة ولا محاذاة عن يمين أو شمال ، فاذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى ، فانه يقال : مازلنا نسير والقمر معنا والنجم معنا ، ويقال : هذا المتاع معنا ، وهو لمجامعته لك وان كان فوق رأسك ، فانما الله مع خلقه حقيقة ، وهو فوق العرش حقيقة ثم هذه المعية تختلف احكامها بحسب الموارد](٢٥) ، فلما قال : [يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » دل ظاهر الخطاب على ان حكم

---

(٢٢) الحموية : ٧٠ . والحديث سبق تخريجه .

(٢٣) قد سبق أن الحديث لا تصح نسبته الى النبي ﷺ ولا يجوز ان يعتمد عليه ولا يتخذ مبدأ للنقاش وكنا نود من ابن جهبل الا يصرف العناية اليه .
المحقق .

(٢٤) ، (٢٥) ص ٧٠ الحموية .

هذه المعية ومقتضاها انه مطلع عليكم عالم بكم](٢٦) . قال : [ما معنى قول السلف : انه معهم بعلمه] (٢٧) . قال وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته(٢٨) .

قال : [وكذلك فى قوله تعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة »(٢٩) الآية ، وفى قوله تعالى : « لا تحزن ان الله معنا »(٣٠) ، « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون(٣١) « اننى معكما اسمع وارى »](٣٢) .

قال : [ويقول ابو الصبى له من فوق السقف : لا تخف : انا معك ، تنبيها على المعيه الموجبة لحكم الحال] (٣٣) . فليفهم الناظر أدب هذا المدعى فى هذا المثل ، وحسن الفاظه فى استثمار مقاصده . ثم قال : ففرق بين معنى المعيه وبين مقتضاها ، وربما صار مقتضاها [من معناها ، فيختلف باختلاف المواضع](٣٤) . فليفهم الناظر هذه العبارة التى ليست بالعربية ولا بالعجمية ، فسبحان المسبح باللغات المختلفة .

قال : [فلفظ المعية قد استعمل فى الكتاب والسنة فى مواضع ، يقتضى فى كل موضع امورا لا يقتضيها فى الموضع الآخر](٣٥) . هذه عبارته

---

(٢٦) النص فى الحموية [فلما قال : (يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها) الى قوله تعالى (وهو معكم اينما كنتم) دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها : انه مطلع عليكم ، شهيد عليكم ، مهيمن عليكم ، عالم بكم وهذا معنى قول السلف : انه معه بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته] الحموية ٧٠ .

(٢٧) ، (٢٨) الحموية ص ٧٠ بتصرف من الحموية ص ٧٠ .

(٢٩) سورة المجادلة آية ٧ .

(٣٠) سورة التوبة : ٤٠ .

(٣١) سورة النحل آية ١٢٨ .

(٣٢) سورة طه آية ٤٦ .

(٣٣) بتصرف من الحموية ص ٧٠ ، ٧١ .

(٣٤) بتصرف من الحموية ص ٧١ .

(٣٥) الحموية ص ٧١ .

بحروفها ثم قال : [فاما ان تختلف دلالتها بحسب المواضع ، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها ، وان امتاز كل موضع بخاصية](٣٦) فليفهم تقسيم هذا المدعى ، وحسن تصرفه .

قال : [فعلى التقديرين ليس مقتضاها ان تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق ، حتى يقال : صرفت عن ظاهرها](٣٧) .

ثم قال فى موضع آخر : [من علم ان المعية تضاف الى كل نوع من انواع المخلوقات ، كاضافة الربوبية مثلا ، وان الاستواء على العرش ليس الا العرش ، وان الله تعالى يوصف بالعلو والفوقية الحقيقة ، ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط ، لا حقيقة ولا مجازا ، علم ان القرآن على ما هو عليه من غير تحريف](٣٨) ، فليفهم الناظر هذه المقدمات القطعية ، وهذه العبارات الرائعة الجلية ، وحصر الاستواء على الشىء فى العرش مما لا يقوله عاقل ، فضلا عن جاهل .

ثم قال : [من توهم ان كون الله فى السماء ، بمعنى ان السماء تحيط به وتحويه ، فهو كاذب ان نقله عن غيره ، وضال ان اعتقده فى ربه ، وما سمعنا احدا يفهمه من اللفظ ، ولا راينا احدا نقله عن احد](٣٩) . فليستفد الناظر ان الفهم يسمع .

قال : [ولو سئل سائر المسلمين : هل يفهمون من قول الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم : ان الله فى السماء تحويه ، لبادر كل احد منهم الى ان يقول : هذا شىء لعله لن يخطر ببالنا ، واذا كان الأمر هكذا فمن التكلف

---

(٣٦) الحموية ص ٧١ .

(٣٧) الحموية ص ٧٠ .

(٣٨) الحموية ص ٧١ . وهو يقصد بالتحريف فى كل موضع اورده فيه التأويل الذى هو صرف اللفظ عن معناه القريب لدليل على ذلك على ما نحو ما أشرنا اليه قبل . المحقق .

(٣٩) الحموية ص ٧٢ .

أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا محالا ، لا يفهمه الناس منه ، ثم يريد أن يتأولوه](٤٠) .

قال : [بل عند المسلمين أن الله فى السماء ، وهو على العرش واحد ، اذ السماء انما يراد بها العلو ، فالمعنى : الله فى العلو لا فى السفل](٤١) .

هكذا قال المدعى فليشد الناظر على هذه بالخناصر ، وليعض عليها بالنواجذ ، وليعلم أن القوم « يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين »(٤٢) .

قال : [وقد علم المسلمون أن كرسيه تعالى وسع السموات والأرض(٤٣) ، وأن الكرسى فى العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وأن العرش خلق من مخلوقات الله تعالى ، لا نسبة له الا قدرة الله وعظمته(٤٤) ، فكيف يتوهم متوهم بعد هذا أن خلقا يحصره ويحويه ، وقد قال تعالى : « ولأصلبنكم

---

(٤٠) الحموية ص ٧٢ .
(٤١) الحموية ص ٧٠ .
(٤٢) سورة الحشر آية ٢ .
(٤٣) ذكر ابن كثير فى تفسيره رواية فى هذا المعنى الذى ذكره ابن تيمية مجملا قال [وقال أبو بكر بن مردويه أخبرنا سليمان بن أحمد أخبرنا عبد الله ابن وهيب المقرى أخبرنا محمد بن أبى اليسرى العسقلانى أخبرنا محمد ابن عبد الله التميمى عن القاسم بن محمد الثقفى عن أبى ادريس الخولانى عن أبى ذر الغفارى انه سأل النبى ﷺ عن الكرسى فقال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسى الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وان فضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة الحلقة » .
هذا معلوم من قوله تعالى « وسع كرسيه السموات والأرض » المحقق .
(٤٤) أما صفات الكرسى وحجمه ووظيفته فقد ذكر فيها ابن كثير أحاديثا بين أنها لا تصح . ابن كثير جـ ١ : ٣٠٩ — ٣١٠ . المحقق .

فى جذوع النخل »(٤٥) ؛ وقال تعالى : « فسيروا فى الأرض »(٤٦) بمعنى « على » ، ونحو ذلك ، وهو كلام عربى حقيقة لا مجاز ، وهذا يعلمه من عرف حقائق معانى الحروف ، وأنها متواطئة فى الغالب](٤٧) ، هذا آخر ما تمسك به .

فنقول : أولا ، ما معنى قولك : ان « مع » فى اللغة للمقارنة المطلقة من غير مماسة ولا محاذاة ؟ وما هى المقارنة ؟ فان لم يفهم من المقارنة غير صفة لازمة للجسمية ، حصل المقصود ، وان فهم غيره فليتنبه حتى ننظر هل تفهم العرب من المقارنة ذلك أولا . ثم قوله : فماذا قيدت بمعنى من المعانى دلت على المقارنة فى ذلك المعنى . فنقول له : ومن نحا ذلك فى ذلك ؟

قوله : (اى المعية) انها فى هذه المواضع كلها بمعنى العلم . قلنا : من اين لك هذا ؟ فان قال : من جهة قوله تعالى « مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم » (٤٨) الآية ، دل ذلك على المعية بالعلم ، وانه على سبيل الحقيقة . فنقول له : قد كلت بالصاع الوافى فكل لنا بمثله ، واعلم أن « فوق » كما يستعمل فى العلو فى الجهة كذلك يستعمل فى العلو فى المرتبة والسلطنة والملك ، وكذلك الاستواء ، فيكونان متواطئين ، كما ذكرته حرفا بحرف ، وقد قال الله تعالى : « وهو القاهر فوق عباده »(٤٩) ، وقال تعالى : « وفوق كل ذى

---

(٤٥) سورة طه آية ٧١ .

(٤٦) سورة النحل آية ٣٦ .

(٤٧) الحموية ص ٧٢ ثم أن قضية تواطؤ حروف الجر فى المعنى وأن بعضها ينوب عن بعض فى اداء المعنى المراد قضية خلافية يقبلها من يقبلها ويرفضها من يرفضها فلا يجوز فى قضية خلافية كهذه إن يجعل بعض المتحمسين فيها لرأى ما على رأيه أو يدعى أنها غير خلافية فتأمل . المحقق .

(٤٨) سورة المجادلة آية ٧ .

(٤٩) سورة الانعام آية ١٨ .

علم عليم »(٥٠) ، وقال الله تعـالى : « يد الله فوق ايديهم »(٥١) وقال تعالى حكاية عن قومهم فرعون : « وانا فوقهم قاهرون »(٥٢) ، وقال تعـالى : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات »(٥٣) ، ومعـلوم انه ليس المراد جهة العلو ، فاعـد البحث وقل : فوق العرش بالاستيلاء . وكذا حـديث الاوعال(٥٤) ، وما فعلته فى « مع »فافعله فى « فوق » ، وخرج هذا كما خرجت ذلك ، والا اترك الجميع(٥٥) .

ثم قوله : ومن علم أن المعية تضاف الى كل نوع من أنواع المخلوقات ، وان الاستواء على الشيء ليس الا العرش .

---

(٥٠) سورة يوسف آية ٧٦ .

(٥١) سورة الفتح آية ١٠ .

(٥٢) سورة الاعراف آية ١٢٧ .

(٥٣) سورة الزخرف آية ٣٢ .

(٥٤) سبق تخريجه واثبات وضعه .

(٥٥) سبق ان اشرنا الى أن ابن تيمية ومن سار على طريقته قد رسم قاعدة منهجية ووعد انه سيلتزم بها وهى انه لا يجوز التأويل بمعنى صرف اللفظ عن معناه القريب الى معناه البعيد اذا دل على ذلك دليل ولكنه هنا فى آيات المعية وجد نفسه فى موقف حرج مع قاعدته فالمعية فى معناها القريب تفيد المعية بالذات وهى بمعناها البعيد الذى لا ينصرف اليه الذهن الا بدليل او قرينة ، يفيد العلم او بشـكل أوسع يفيـد المعيـة بالصفة . ورأى ابن تيمية هنا فى كل آيات المعية واحـاديثها ان المعية بالصـفة لا بالذات فهى معية بالعلم او معية بالرحمة او . . او . . الخ حسبما يقتضيه الحال ولكنه فى الآيات المماثلة التى وردت فى قضـايا له فيها رأى مخالف لم يفعل مثل هذا الفعل بل حمل اللفظ على معناه القريب وذلك كما فى آيات استوى على العرش أو النصوص الدالة على اليد والوجه وغيرها كما ورد فى الاصل .

ويعتب عليه ابن جهبل انه لم يطرد قاعدة منهجه وانما يؤول حسبما يشاء ويرفض التأويل عنـدما يريد الرفض . وليست هـذه صفة القاعدة المنهجية . المحقق .

قلنا : حتى نبصر الك رجلا استعملها يعلم ماتقوله من غير دليل ، فانك ان لم تقم دلالة على ذلك والا ابرزت لفظة تدل على تحتم « فوق » للاستواء في جهة العلو ، فليت شعرى من اين تعلم ان المعية بالعلم حقيقة ، وأن آية الاستواء على العرش وحديث الاوعال دالان على صفة الربوبية بالفوقية الحقيقة ! اللهم غفرا (٥٦) ، هذا لا يكون الا بالكشف (٥٧) ، والا فالادلة التى نصبها الله تعالى لتعرف بها ذاته وصفاته وشرائعه لم يورد هذا المدعى منها حرفا واحدا على وفق دعوى ، ولا ثبت له قدم الا فى تهوى .

ثم قوله : لا يوصف الله تعالى بالسفول والتحتية ، لا حقيقة ولا مجازا، ليت شعري ! من ادعى له هذه الدعوى حتى يكلف الكلام فيها ؟ ثم ان قوله بعد ذلك : [من توهم كون الله تعالى فى السماء ، بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه ، فهو كاذب ان نقله عن غيره ، وضال ان اعتقده فى ربه](٥٨) . أيها المدعى ، قل ما تفهم ، وافهم ماتقول ، وكلم الناس كلام عاقل لعاقل ، تفيد وتستفيد ، اذا طلبت أن تستنبط من لفظه « فى » الجهة ، وحملتها على حقيقتها هل يفهم منهم غير الظرفية ، أو ما فى معناها ؟ ! واذا كان كذلك فهل يفهم عاقل أن الظرف ينفك عن احاطة ببعض أو جميع ما يلزم ذلك ؟ ! وهل جرى هذا على سمع ؟ وهل من يخاطر ان « فى » على حقيقتها فى جهة ، ولا يفهم

---

(٥٦) غفرا قال ابن منظور [... يقال اللهم اغفر لنا مغفرة وغفرا وغفرانا وانك أنت الغفور الغفار يا أهل المغفرة واصل الغفر التغطية والستر . غفر الله ذنوبه أى سترها . والغفر : الغفران] لسان العرب ج ٥ : ٣٢٧٣ . المحقق .

(٥٧) الكشف أو الالهام منهج يرى من يقولون به انه باب مفتوح على القلب من غير جهة الحواس أى انه لايسير على وتيرة العلم الذى وسيلته السمع والبصر والفؤاد ... الخ . المحقق .

(٥٨) الحموية : ص ٧٢ .

منها احتواء ولا احاطة ببعض ولا كل(٥٩) ؟ فإن كان المراد ان يعزل الناس عقولهم ، وتتكلم أنت وهم يقلدون ويصدقون ؛ لم تأمن ان بعض المسئولين من المخالفين للملة يأمرك بذلك ويثبت الباطل عليك .

ثم قولك : [لو سئل سائر المسلمين ، هل يفهمون من قول الله تعـالى ورسوله إن الله في السماء تحويه ، لبادر كل واحد منهم الى أن يقول : هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا](٦٠) .

---

(٥٩) سبق أن أشرنا الى أن حروف الجر ليس من اللازم ان ينوب بعضها عن بعض :

وحرف الجر — أى حرف جر — له وظيفة يؤديها وله معنى يفهم منه ووظيفة حروف الجر جميعا هى أن تعمل فى الاسم الذى يليها فتجره وكل حرف من الحروف ينفرد بمعنى يخصه ويدل عليه عند الاستعمال وهو المعنى الذي أراد له واضع اللغة أن يرتبط به .

وعلى سبيل المثال فوظيفة حرف الجر — فى — أنها تعمل فى الاسم الذى يليها الجر ومعناه الذى وضع له ومرتبطا به هو الظرفية تستلزم أن يكون هناك ظرف حاو ومظروف يحتويه الظروف ولا ينفك هذا الحرف عن معناه الحسى ، الا بتأويل يخرجه عن معناه الحقيقى الذى وضع له الى معنى آخر مجازى .

وابن تيمية حين يفهم القرآن يشترط ألا نؤول فيه وهو امام هذه الكلمة (وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله) يقـول : ان فى تستعمل على حقيقتها وفى المعنى الذى أراده الواضع للغة أن يرتبط بها وهى تدل على أن الله فى جهة فوق السماء هى جهة العلو .

ويلاحظ ابن جهبل أن هذا كلام متناقض لأن ابن تيمية ان أراد من حرف الجر — فى — معناه الحقيقى دل على الظرفية ولوازمها من الاحتواء والمادية وهو لا يقول بذلك كما يدعى وان اراد أن يخرج الحرف — فى — عن معناه الحقيقى الى معنى مجازى فقد خالف منهجه وان اراد من الحرف معناه الأصلى الحقيقى مع دلالته على الجهة والفوقية فقد اغرب فى القول وأفحش فى الكلام وتناقض فى الفكر الى حد لا يصدقه معه عقل . المحقق .

(٦٠) الحموية ص ٧٢ .

فنقول : ما الذى أردت بذلك ؟ ان أردت أن هذا اللفظ لايعطى هذا المعنى فاياك أن تسأل عن هذا من عارف بكلام العرب ، فانه لا يصدقك فى أن هذا لا يعطى هذا ، مع كون « فى » للظرفية ، وأنها على حقيقتها فى الجهة ، وان أردت أن العقـول تأبى فى حق الله تعالى ، فلسنا نحن ممسك الا فى تقرير هذا ، ونفى كل ما يوهم نقصا فى حق الله تعالى(٦١)] .

ثم قولك : [عند المسلمين أن الله فى السماء وهو على العرش واحد](٦٢) . لا ينبغى أن تضيفه هذا الكلام الا الى نفسك ، أو الى من تلقيت هذه الوصمة منه ، ولا تجعل المسلمين يرتبكون فى هذا الكلام الذى لا يعقل .

ثم استدللت على أن كون الله فى السماء وعلى العرش واحد بأن السماء انما يراد بها العلو ، فالمعنى : الله فى العلو لا فى السـفل . قل لى : هل قال الله تعالى ورسوله ﷺ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار

---

(٦١) ان أى نص من نصوص القرآن يتحدث عن الله ويقول انه فى السماء لا يفهم على ظاهره فان ظاهر النص وما وضع له يفيد الظرفية والاحتواء . وحين يصرف عن ظاهره يكون لهذا الصرف عن الظاهر دليل وقرينة ذلك ان المانع من ارادة المعنى الأصلى هو منافاة المعنى لذات الله عز وجل وصفاته وعليه فان ابن تيمية حين عرض ما يرد فى القرآن على عامة المسلمين ليسألهم هل تفهم عقولهم من هذه النصوص احتواء او ظرفية لم يحدد ما يريده وانما طرح السؤال مجملا ويتساءل ابن جهبل عما يريده ابن تيمية فان أراد أن يسأل عن المعنى الأصلى لهذا الحرف — فى — وفى جميع استعمالاته فان كل من له المـام بالعـربية سيجيبـه بأن هـذا يفيـد الظرفية وان كان يريد بسؤال العامة والخاصة حقيقة ما يراد من هذه الآيات بالنسبة لله فان جوابه الكافة أن هذه النصوص لا يقصد منها الظرفية والمانع ليس هو أصل اللغة وحقيقة الوضع وانما المانع هو أن الظرفية لا تتناسب مع كمالات الله عز وجل فحمل معنى اللفظ على ما يلائم كمالات الله عز وجل . المحقق .

(٦٢) الحموية ٧٠ .

رضى الله عنهم اجمعين : ان الله تعالى فى العلو لا فى السفل ؟ وكل ما قلته من اول المقدمة الى آخرها ، لو سلم لك لكان حاصله أن الله تعالى وصف نفسه بانه استوى على العرش ، وان الله تعالى فوق العرش .

[و] اما ان السماء المراد بها جهة العلو فما ظفرت كفاك بنقله .

ثم قولك : قد علم المسلمون أن كرسيه تعالى وسع السموات والأرض ، [وان الكرسى فى العرش كحلقة ملقاة بارض فلاة] (٦٣) .

فليت شعرى ، [اذا كان حديث الأوعال] (٦٤) يدلك على أن الله فوق العرش ، فكيف يجمع بينه وبين طلوع الملائكة الى السماء التى فيها الله ؟ وكيف يكون مع ذلك فى السماء حقيقة ؟ ولعلك تقول : ان المراد بهما جهة العلو توفيقا ، فليت شعرى أيمكن ان تقول بعد هذا التوفيق العارى عن الترقيف والتوفيق ، ان الله فى السماء حقيقة ، وعلى السماء حقيقة ، وفى العرش حقيقة ، وعلى العرش حقيقة(٦٥) ؟ ثم حقيقة السماء هى هذه المشاهدة المحسوسة يطلق عليها هذا الاسم من لم يخطر بباله السمو(٦٦) ،

---

(٦٣) سبق ان اشرنا الى قول ابن كثير فى بعض روايات هذا الحديث وتشككه فى بعضها وطعنه فى البعض الآخر وهو تلميذ لابن تيمية . المحقق .

(٦٤) سبق أن أشرنا اليه وبينا ضعفه . المحقق .

(٦٥) تأمل استعمالات حروف الجر هنا وتدبر معناها ستجد ان الحرف — فى — يفيد الظرفية والحرف — على — يفيد الاستعلاء بالمماسة الجسمية عند ارادة المعنى الحقيقى لكل منهما لا يمكن الجمع بينهما فى معنى واحد مع الاحتفاظ بالمعنى الاصلى لكل منهما فتأمل — المحقق .

(٦٦) كلمة — سماء — لها معنى حقيقى هو ذلك الجرم المحسوس الذى نراه ولها معنى آخر تفهمه من أصل الاشتقاق وهو السمو والرفعة والمعنى الاصلى هو المراد من الكلمة فى حقيقة اللغة ومعنى السمو لا يفهم من الكلمة الا مجازا وابن تيمية لا يسمح لنفسه أن يفهم المعنى المجازى من الكلمة فهو كثيرا ما يلح مع ضرورة الالتزام بالمعنى الاصلى وهب اننا وافقناه حين تنازل

واما اصل الاشتقاق فذلك لا رمزية لها فيه على السقف والسحاب ، فتبارك الله خالق العقول !

ثم قولك بعد ذلك : [العرش من مخلوقات الله تعالى ، لاينسبه له الا قدرة الله وعظمته] . وقع الينا « الا قدرة الله »(٦٧) فان كانت بألف لام الف ، كما وقع الينا فقد نفيت العرش ، وجعلت الجهة هى العظمة والقدرة ، وصار معنى كلامك : جهة الله عظمته وقدرته . والآن قلت مالا يفهم ، ولا قاله احد ، وان كان كلامك بالف لام ياء ، فقد صدقت وقلت الحق ، ومن قال خلاف ذلك ؟ ولعمرى لقد رممنا لك هذا الكلام ، ولقناك اصلاحه . ثم قلت : [كيف يتوهم بعد هذا ان خلقا يحصره ويحويه](٦٨) . قلنا : نعم ، ومن اى شىء بلاؤنا الا ممن يدعى الحصر أو يوهمه !

ثم قلت : [وقد قال الله تعالى « ولاصلبنكم فى جذوع النخل »](٦٩) او ما علمت أن التمكن الاستقرارى حاصل فى الجذع ، فان تمكن المصلوب فى الجذع كتمكن الكائن فى الظرف(٧٠) ، وكذلك الحكم فى قوله تعالى : « قل

= عن مذهبه فهل معنى السمو المفهوم من السماء بالرمز والايحاء ينص على ان الله فى جهة هى جهة العلو مستو على عرشه بالمعنى الحقيقى للاستواء ؟ وهل هذه الجمل القطعية يشير اليها رمز (السمو) لم يقل بهذا احد . المحقق .

(٦٧) ما فى الحموية بتحقيق محمد حامد الفقى [العرش من مخلوقات الله لا نسبة له الى قدرة الله وعظمته] الحموية ص ٧٢ .

(٦٨) الحموية ص ٧٢ .

(٦٩) الحموية ص ٧٢ — طه — ٧١ .

(٧٠) او رد ابن تيمية بعض النصوص التى تفيد ان — فى — تحمل معنى الاستعلاء والفوقية كقوله تعالى [ولأصلبنكم فى جذووع النخل] ويرى ابن تيمية ان فرعون لم يدخل السحره فى جذوع النخل وانما جعلهم عليها فأفادت — فى — معنى الاستعلاء والفوقية . ويرى ابن جهبل ان مثل هذا الاستنتاج يحدث خلطا فى لغة العرب وتكرار الفاظ من غير داعى فمن الممكن =

سيروا فى الأرض »(٧١) وهذا الذي ذكرناه هو الجواب عن حديث الأوعال ، وحديث قبض الروح(٧٢) ، وحديث عبد الله بن رواحه رضى الله

والحالة هذه أن يستغنى بأحد الحرفين من الآخر ويلغى فاما أن نبقى على الحرف — على — أو نبقى على الحرف — فى — .

واقوى مما ذهب اليه ابن تيمية وأليق أن نقول « ان اللفظ يستعمل فى ما وضع له فيكون استعمالا حقيقيا ويستعمل فى غير ما وضع له لقرينة تدل على ذلك فيكون استعمالا بلاغيا . فكما يستعمل الأسد مرة للحيوان المفترس وأخرى للانسان الشجاع كذلك يستعمل الحرف — فى — مرة للظرفية على حقيقته ومرة أخرى يفيد الاستعلاء شريطة أن يكون الشيء الأعلى قد تمكن من الشيء المعلو عليه تمسكن المظروف من ظرفه . وفى هـذه الحال يكون الاستعمال بلاغيا يدرك المعنى البلاغي منه ذوو الأحلام والنهى . والمتأمل لهذه النصوص يجد المعنى البلاغى ظاطرا لاستره به . المحقق .

(٧١) سورة الأنعام آية ١١ .

(٧٢) فى الحموية اشارة الى الحديث ولم يذكره وركز ابن القيم على الجزئية التى تفيد الجهة ولم يذكر بقية الرواية بطولها ذكرها الامام أحمد فى مسنده ج — ٢ / ٣٦٤ ، ٣٦٥ بالسند الى أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : ان الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب اخرج حميده وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان . قال : فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخـرج ثم يعـرج بها السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال : فلان . فيقولون مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان قال — فلايزال يقال لها حتى ينتهي بها الى السماء التى فيها الله عزوجل واذا كان الرجل السوء قالوا : اخـرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث اخرجى ذميمة ، وأبشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال حتى يخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال فلان فيقال : مرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فانه لا يفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير الى القبر فيجلس الرجل

. . . .

الصالح فيقال له مثل ما قيل له فى الحديث الأول ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ما قيل فى الحديث الأول .

والحديث قد عقب عليه الذهبى — وهو على رأى ابن تيمية فى القول بالجهة . بقوله : [رواه احمد فى مسنده والحاكم فى مستدركه وقال هو على شرط البخارى ومسلم ، ورواه ائمة عن ابن ابى ذئب] . وأدرجه ضمن الأحاديث المتواترة حيث ذكره تحت عنوان « .. فمن الأحاديث المتواترة الواردة فى العلو » نحن لا ندرى ما الذى يعنيه بالتواتر فى مثل هذا الحديث وهل تنفعه عبارة [ورواه ائمة عن ابن أبى ذئب] أم يشترط فى التواتر إن يرويه جماعة عن جماعة يؤمن تواطؤهم على الكذب من أول السند الى منتهاه . ورواية النسائى لهذا الحديث قد أهملت اهمالا تاما ما تمسك به ابن تيمية وتلامذته كابن القيم والذهبى . والفقرة التى تمسكوا بها [حتى يعرج بها الى السماء التى فيها الله] وتلك روايته بالسند عن ابى هريرة ان النبى ﷺ قال : [اذا احتضر المؤمن اتته ملائكة الرحمة بجريدة بيضاء فيقولون اخرجى راضية مرضيا عنك الى روح الله وريحان ورب غير غضبان فتخرج كاطيب ريح مسك حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتون به باب السماء فيقولون : ما أطيب هذه الريح التى جاءتكم من الارض فيأتون به أرواح المؤمنين فهم اشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه ماذا فعل فلان ؟ ماذا فعل فلان ؟ فيقولون : دعوه . فانه كان فى غم الدنيا . فاذا قال أما أتاكم ؟ قالوا : ذهب به الى امه الهاوية وان الكافر اذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون : اخرجى ساخطة مسخوطا عليك الى عذاب الله عز وجل فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتون به الأرض فيقولون : ما أنتن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار ، سنن النسائى ٤/٨ ، ٩ . ط دار الكتب العلمية — بيروت ... العراقى فى تعليقه على الاحياء حين أورد رواية ابى هريرة لم يشر الى رواية الامام أحمد التى فيها النص الذى اعتمد عليه القائلون بالجهة واكتفى برواية النسائى وصحح — سندها — الاحياء حاشية ص٤٤٩ ج٤ ط عيسى البابى الحلبى .. وفى رواية البراء بن عازب كما أخرجه =

عنــه(٧٣) ،وحديث أميه بن ابى الصلت(٧٤) ، وما قال من قوله :

مجــدوا الله فهو اهــل لمجــدٍ   ربنــا فى السماء أمسى كبيرا

فيقال للمدعى : ان كنت ترويه « فى السماء » فقط ، ولا تتبعها « امسى كبيرا » فربما يوهم ما تدعيه ، لكن لا يبقى شعرا ولا قافية ، وان كان قال : « ربنا فى السماء امسى كبيرا » فقل مثل ما قال اميه ، وعند ذلك لا يدرى : هل هو كما قلت : أو قال : ان الله كبير فى السماء .

الامام احمد وأشار اليه ابن كثير فى تفسيره اهمال لتلك اللفظة التى اشار اليهاالقائلون بها بالجهة فليس فى الرواية ان روح أن المؤمن تصل الى السماء التى فيها الله وان كان ابن كثير قد اشار بعد الى رواية ابا هريرة وعزاها الى الامام احمد والنسائى وابن ماجه وابن جرير واختار ان ينقل اللفظ عن ابن جرير وهو اللفظ الذى فيه [حتى ينتهى بها الى السماء التى بها الله عز وجل] وهو يلتقى فى بعض رجال السند مع رواية الامام احمد ومن المعلوم أن هذه اللفظة ساقطة من جميع الروايات التى نعلم لهذا الحديث من غير رواية ابى هريرة وهى ساقطة من رواية ابى هريرة نفسه فيما أخرجه النسائى على نحو ما بينا . راجع ابن كثير تفسير ج٢/٢١٣ وما بعدها . ط . عيسى بابى الحلبى . المحقق .

(٧٣) فى الحموية ص ٧ — ٨ قال [.. وقول عبد الله بن رواحه الذى أنشده للنبى ﷺ واقره عليه :

شــهدت بأن وعــد الله حــق   وأن النــار مثوى الــكافرينا
وأن العرش فــوق المــاء طافٍ   وفوق العرش رب العالمينــا

(٧٤) قال فى الحموية ص ٨ [.. وقول امية بن ابى الصلت الثقفى الذى أنشد للنبى ﷺ هو وغيره من شعره فاستحسنه وقال « آمن شعره وكفر قلبه » قال :

مجدوا الله فانه للجد اهــل   ربنــا فى السماء أمسى كبيرا
بالبنــاء الأعلى الذى سبق النــا   س وســوى فوق السماء سريرا
شرجعــا ما ينــال بصر العين   ترى دونه المــلائكة صــورا

فان قلت : وهو كبير فى الأرض فلم خصت السماء ؟ قلنا : التخصيص بما اشرنا اليه من ان تعظيم أهل السموات اكثر من تعظيم أهل الأرض له ، فليس فى الملائكة من ينحت حجرا ويعبده ، ولا فيهم دهرى ولا معطل ولا مشبه، وخطاب أمية لكفار العرب الذين اتخذوا هبل ومناه واللات والعزى وغير ذلك من الأنداد ، وقد علمت العرب أن أهل السماء أعلم منهم ، حتى كانوا يتمسكون بحديث الكاهن الذى كان يتلقف من الجنى الذى يسترق الكلمة من الملك ، فيضيف اليها مائة كذبه ، فكيف اعتقادهم فى الملائكة ! ! فلذلك احتج عليهم امية بالملائكة ، هذا ليس ببعيد ولا خلافه قطعى .

ثم قال : [من المعلوم بالضرورة ان الرسول المبلغ عن الله القى الى أمته المدعوين أن الله تعالى على العرش ، وانه فوق السماء](٧٥) ، فنقول له : هذا ليس بصحيح بالصريح ، بل ألقى اليهم أن الله استوى على العرش ، هذا الذى تواتر من تبليغ هذا النبى ﷺ ، وما ذكره المدعى من هذا الأخبار ، فأخبار آحاد لا يصدق عليها جمع كثرة ، ولا حجة له فيها(٧٦) ، وذلك واضح لمن سمع كلام الرسول ﷺ ، ونزل على استعمال العرب واطلاقاتها ، ولم يدخل عليهم غير لغتها .

ثم قلت : [كما فطر الله جميع الأمم ، عربهم وعجمهم فى الجاهلية والاسلام ، الا من اجتالته الشياطين عن فطرته](٧٧) . هذا كلام من أوله

---

(٧٥) الحموية : ص ٨ وفيها (.. من ابلغ العلوم الضرورية ... أن الرسول .. الخ) .

(٧٦) فى هذا اشارة الى قضية خلافية حول احاديث الاحاد وهل يعمل بها فى مجال العقيدة ام لا وهذا خلاف مبنى على خلاف آخر يعتبر الأساس لهذا الخلاف الأول ومؤدى هذا الخلاف الأخير هو هل تفيد أحاديث الاحاد العلم اليقينى ام انها تفيد الظن الراجح فقط والمسالة خلافية على اية حال فتأمل . المحقق .

(٧٧) الحموية ص ٨ .

الى آخره معارض بالميل والترجيح معنا . ثم قلت [عن السلف فى ذلك من الاقوال ما لو جمعته لبلغت مئين أو الوفا](٧٨) فيقول : ان اردت بالسلف سلف المشبه كما سيأتى فى كلامك ، قديما قاربت ، وان اردت سلف الأئمة الصالحين فلا حرفا ولا شطر حرف ، وها نحن معك فى مقام مقيام ومضمار مضمار بحول الله وقوته .

ثم قلت : [ليس فى كتاب الله تعالى ، ولا سنة رسوله ، ولا عن أحد من سلف الأمة ، لا من الصحابة ولا من التابعين ، حرف واحد يخالف ذلك ، لا نص ولا ظاهر](٧٩) قلنا : ولا عنهم ، كما ادعيت أنت ، ولا نص ولا ظاهر ، وقد صدرت أولا(٨٠) أنك تقول ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار مشايخ عقيدتك ، وعزلت العشرة وأهل بدر والحديبية عن السبق ، التابعين عن المتابعة ، وتولى هؤلاء لا غير(٨١) « الله أعلم حيث يجعل رسالاته »(٨٢) ثم قولك : [لم يقل احد منهم قط : ان الله ليس فى السماء ، ولا أنه بذاته فى كل مكان ، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة اليه سواء ، ولا أنه داخل العالم ولا خارجه ، ولا أنه لا متصل ولا منفصل](٨٣) . قلنا :

---

(٧٨) ماذكره ابن جهبل هو نحوى كلام ابن تيمية وهو فى الحموية [ثم عن السلف فى ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو الوفا ..] ص٨ .

(٧٩) عبارة ابن تيمية (... ثم ليس فى كتاب الله ، ولافى سنة رسوله ﷺ ولا عن احد من سلف الأمة لا من الصحابة ولا من التابعين لهم باحسان ، ولا عن الائمة الذين ادركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك ، لا نصا ولا ظاهرا ...) الحموية ص ٨ . المحقق .

(٨٠) يشير الى ما قاله ابن تيمية فى صدر الحموية ص ١ [قولنا فيها : ما قال الله ورسوله ﷺ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان وما قاله ائمة الهدى بعد هؤلاء .. الخ) . المحقق .

(٨١) يقصد سلفه القائلين بالجهة والذين تابعوهم على مذهبهم . المحقق .

(٨٢) سورة الانعام آية ١٢٤ .

(٨٣) الحموية ص ٨ .

لقد عممت الدعوى ، فذكرت مالم تحط به علما ، وقد ذكرنا لك عن جعفر الصادق والجنيد والشبلى وجعفر بن نصير ، وأبى عثمان المغربى ، رضى الله عنهم(٨٤) : ما فيه كفاية ، فان طعنت فى نقلنا ، أو فى هؤلاء السادة ، طعنا فى نقلك ، وفيمن استندت اليه من أهل عقيدتك خاصة ، فلم يوافقك على ما ادعيته غيرهم .

ثم انك انت الذى قد قلت ما لم يقله الله ، ولا رسوله ، ولا السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، ولا من التابعين ، ولا من مشايخ الأمة الذين لم يدركوا الأهواء فما نطق أحد منهم بحرف فى ان الله تعالى فى جهة العلو ، وقد قلت وصرحت وبحثت وفهمت بأن ما ورد من انه فى السماء ، وفوق السماء ، وفى العرش ، فوق العرش ، المراد به جهة العلو فقل لنا : من قال هذا ؟ من قاله الله ، أو رسوله ، أو السابقون الاولون من المهاجرين والأنصار ، أو التابعين لهم باحسان ، فلم تهول علينا بالأمور المغمغمة ؟ وبالله المستعان .

ثم استدل على جواز الاشارة الحسية اليه بالا صابع ونحوها ، بما صح انه ﷺ فى خطبة عرفات جعل يقول : «ألا هل بلغت» ؟ فيقولون : نعم ، فيرفع أصبعه الى السماء وينكتها اليهم ، ويقول : « اللهم أشهد » غير مرة(٨٥) . ومن أى دلالة(٨٦) يدل هذا على جواز الاشارة اليه ؟ هل صدر منه ﷺ الا انه رفع أصبعه ثم نكتها اليهم ؟ وهل فى ذلك دلالة على أن رفعه كان يشير به الى جهة الله تعالى ؟ ولكن هذا من عظيم ما رسخ فى ذهن هذا المدعى من حديث الجهة ، حتى انه لو سمع مسالة من عويص الفرائض والوصايا أو احكام الحيض : لقال : هــذه دالة على الجهة .

---

(٨٤) سبقت الترجمة لهؤلاء الاعلام .

(٨٥) الحموية ص ٨ — ٩ وهو يشير الى رواية جابر بن عبد الله من حجة النبى ﷺ حين سأل عنها جابر وهى مروية فى الصحاح انظر صحيح مسلم ١٨٤/٨ كتاب الحجة باب حجة النبى ﷺ ص ١٧٠ طبعة المطبعة المصرية ومكتبتها / القاهرة . المحقق .

(٨٦) يقصد أن يسأل ابن تيمية عن نوع الدلالة التى استدل بها من هذا الحديث الذى أورده وكأن العبارة فيها محذوف تقديره من أى أنواع الدلالة . المحقق .

ثم أتى بالطامة الكبرى والداهية الدهياء ، وقال : [فان كان الحق فيما يقول هؤلاء السابقون النافون للصفات الثابتة فى الكتاب والسنة من هذه العبارة ونحوها ، دون ما يفهم من الكتاب والسنة ، اما نصا واما ظاهرا ، فكيف يجوز على الله تعالى ، ثم على رسوله ﷺ ، ثم على خير الأمة : انهم يتكلمون دائما بما هو نص أو ظاهر فى خلاف الحق الذى يجب اعتقاده ثم لايبوحون ، بالحق الذى يجب اعتقاده قط ، ولايدلون عليه ، لانصا ولاظاهرا ، حتى يجىء أنباط الفرس والروم وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة ، التى يجب على كل مكلف أو فاضل أن يعتقدها ، لئن كان ما يقوله هؤلاء [المتكلمون] المتكلفون ، هو الاعتقاد الواجب ، وهم مع ذلك أحيلو فى معرفته على مجرد عقولهم ، وأن يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم مادل عليه الكتاب والسنة ، نصا أو ظاهرا ، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وانفع على هذا التقرير ، بل كان وجود الكتاب والسنة ضررا محضا فى أصول الدين ، فان حقيقة الأمر على مايقوله هؤلاء : انكم يامعشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عزوجل ، ومايستحقه من الصفات نفيا ولا اثباتا ، لا من الكتاب ولا من السنة ، ولا من طريق سلف الأمة ، ولكن انظروا أنتم ، فما وجدتموه مستحقا له من الصفات فصفوه به ، سواء كان موجودا فى الكتاب والسنة أو لم يكن ، وما لم تجده مستحقا له فى عقولكم فلا تصفوه بها](٨٧) .

ثم قال : [هم هنا فريقان ، أكثرهم يقولون : ما لم تثبته عقولكم فانفوه ، ومنهم من يقول : بل توقفوا فيه . وما نفاه قياس عقولكم الذى أنتم فيه مختلفون ومضطربون ، اختلافا أكثر من أى اختلاف على وجه الأرض فانفوه ، واليه عند التنازع فارجعوا ، فانه الحق الذى تعبدتكم به ، وما كان مذكورا فى الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا ، ويثبت ما لم تدركه عقولكم ، على طريقة

---

(٨٧) الحموية ص ٩ .

أكثرهم ، فاعلموا اننى امتحنتكم ، لا لتعملوا بتنزيله ، ولا لتاخذوا الهدى منه ، لكن لتجتهدوا فى تخريجه على شواذ اللغة ووحشى الألفاظ وغرائب الكلام ، أو ان تسكتوا عنه مفوضين علمه الى الله مع نفى دلالته على شيء من الصفات. هذا حقيقة الأمر على راى المتكلمين](٨٨) . هذا ما قاله ، وهو الموضع الذى صرع فيه وتخبطه الشيطان من المس ، فنقول له : ماتقول فيما ورد من ذكر العيون بصفة الجمع ، وذكر الجنب ، وذكر الساق الواحد ، وذكر الايدى ؟ فان اخذنا بظاهر هذا يلزمنا اثبات شخص له وجه واحد عليه عيون كثيرة،وله جنب واحد وعليه أيد كثيرة ، وله ساق واحد ، فأى شخص يكون فى الدنيا ابشع من هذا ، وان تصرفت فى هذا بجمع وتفريق بالتأويل ، فلما لم يذكره الله ورسوله وسلف الأمة ؟

وقوله تعالى فى الكتاب العزيز : « الله نور السموات والأرض »(٨٩) فكم عاقل يعلم ان النور الذى على الحيطان والسقوف وفى الطريق والحشوش ليس هو الله تعالى ، ولا قالت المجوس بذلك ، فان قلت بانه هادى السموات والأرض ومنورها ، فلم لا قاله الله تعالى ولا رسوله ولا سلف الأمة ؟ وورد قوله تعالى : « ونحن اقرب اليه من حبل الوريد »(٩٠) وذلك يقتضى ان يكون الله داخل الزردمه(٩١) ، فلم لم يبينه الله ولا رسوله ولا سلف الأمة ؟

وقال تعالى : « فاينما تولوا فثم وجه الله »(٩٢) ، وقال تعالى !

---

(٨٨) الحموية ص ٩ ، ١٠ .
(٨٩) سوره النور ايه ٣٥ .
(٩٠) سورة ق آية ١٦ .
(٩١) الزردمه : موضع الابتلاع .
(٩٢) سورة البقرة آية ١١٥ .

« وجاء ربك »(٩٣) وقال تعالى : « فأتى الله بنيانهم من القواعد »(٩٤) ، وقال تعالى : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » (٩٥) .

وقال ﷺ ، حكاية عن ربه عز وجل : « من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، ومن تقـرب الى ذراعا تقربت منـه باعـا ، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة »(٩٦) . وما صح فى الحديث : « أجد نفس الرحمن من قبل اليمن »(٩٧) . ومن قوله ﷺ : « الحجر الأسود يمين الله فى الأرض »(٩٨) ، ومن قوله ﷺ ،

---

(٩٣) سورة الفجر آية ٢٢ .

(٩٤) سورة النحل آية ٢٦ .

(٩٥) سورة الأنبياء آية ٢ .

(٩٦) أخرج أحمد بالسند عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « قال ربكم عز وجل ان تقرب عبدى منى شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا وان أتانى ماشيا أتيته هرولة . أحمد . جـ٣ ص ١٢٢ ، ص ١٢٧ ، ص ١٣٠ وكلها عن أنس والحديث فى البخارى عن أبى هريرة توحيد باب ١٥ ح ٧٤٠٥ والترمذى وابن ماجة وهو أيضا فى مسلم . المحقق .

(٩٧) أخرج أحمد بالسند الى أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : الا ان الايمان يمان والحكمة يمانية وأجد نفس ربكم من قبل اليمن وقال المثيرة من قبل المغرب ألا ان الكفر والفسوق وقسوة القلب فى الفدادين أصحاب الشعر والوجر الذين يختال الشيطان على أعجاز الابل » أحمد جـ٢ ص ٥٤٣ . المحقق .

(٩٨) فى منتخب كنز العمال [ابن خديجة عن ابن عباس : الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله وعن عمر البغوى عن شيخ من خزاعة : الحجر الأسود يمين فمن مسح يده على الحجر فقد بايع الله أن لا يعصيه] منتخب كنز العمال على هامش مسند الامام أحمد ج ٢/٣٥١ ، ٣٥٢ وأشـار اليه اسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى فى كتاب كشف الخفاء ج ١٧/٣١ ، ومابعدها فاستقصى رواياته وجبر الكسر فى بعض أسانيده وبين المعنى المراد فيه مزيلا بعبارة حسنة — المحقق .

حكاية عن ربه سبحانه وتعالى : « أنا جليس من ذكرني »(٩٩) . وكل هذه هل تأمن المجسم ان يقول لك : ظواهر هذه كثرة تفوت الحصر أضعاف أحاديث الجهة ، فان كان الأمر كما يقول في نفي الجسمية ، مع انه لم يأت في شيء من هذه ما يبين خلاف ظواهرها ، لا عن الله تعالى ، ولا عن رسوله ﷺ ، ولا عن سلف الأمة ، فحينئذ يكيل لك المجسم بصاعك ، ويقول لك : لو كان الأمر كما قلت ، لكان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم . وان قلت : ان العموميات قد بينت خلاف ظواهر هذه ، لم نجد منها نافيا للجسمية الا وهو ناف للجهة .

ثم ما يؤمنك من تناسخي(١٠٠) يفهم من قوله : « في أى صورة ما شاء

---

(٩٩) رواه الديلمي بلا سند عن عائشة مرفوعا وعند البيهقي في الشعب عن أبي بن كعب قال : قال موسى عليه الصلاة والسلام : يارب أقريب أنت فأناجيك أو بعيد فأناديك ؟ فقيل له ياموسى : أنا جليس من ذكرني ونحوه عند أبي الشيخ في الثواب عن كعب والبيهقي أيضا في موضوع آخر ا — كشف الخفاء — ج ٢٣٢/١ نشر وتوزيع مكتبة التراث الاسلامي/حلب-سورية ، دار التراث — ٢٢ ش الجمهورية/القاهرة . المحقق .

(١٠٠) التناسخي : نسبة الى مذهب التناسخ والتناسخ انتقال النفس الناطقة من بدن الى بدن آخر من غير تخلل زمان بين تعلقها بالأول وتعلقها بالثاني للتعشق الذى بين الروح والجسد والتناسخ عقيدة شاعت بين الهنود وغيرهم من الأمم القديمة مؤداها أن روح الميت تنتقل الى موجود أعلى أو أدنى لتنعم أو تعذب جزاء على سلوك صاحبها الذي مات . ومبنى ذلك عندهم أن نفسا واحدة تتناسخها أبدان مختلفة انسانية كانت أو حيوانية أو نباتية والغرض من هذا التناسخ امتحان النفس حتى تكتسب بذلك ماينقصها من الكمال وتصبح مجراه عن التعلق بالأبدان (المعجم الفلسفي ٣٤٦/١) ومن المعروف بداهة أن الفكرة الفلسفية بالتناسخ قد احتاج اليها أصحابها لحل مشكلة أخلاقية وهى ارتباط العمل الخلقى بالثواب والعقاب وهذه الفكرة الفلسفية على هذا النحو لم يحتج اليها الاسلام اذ أن لديه بناء للنظرية
=

ركبك »(١) مذهبه ، ومن معطل يفهم من قوله تعالى : « مما تنبت الأرض »(٢) مراده فحينئذ لا تجد مساغا لما تغص(٣) به من ذلك الا الادلة الخارجة عن هذه الالفاظ ، ثم صار حاصل كلامك ان مقاله الشافعية والحنفية والمالكية ، يلزمها ان يكون ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم ، افتراهم يكفرونك بذلك أم لا ؟

ثم جعلت أن مقتضى كلام المتكلمين ، أن الله تعالى ورسوله وسلف الأمة تركوا العقيدة حتى بينها هؤلاء ، فقل لنا : ان الله ورسوله وسلف الأمة بينوها ، ثم انقل عنهم أنهم قالوا كما تقول : ان الله تعالى فى جهة العلو لا فى السفل ، وان الاشارة الحسية جائزة اليه ، فاذا لم تجد ذلك فى كتاب الله تعالى ، ولا كلام رسوله ﷺ ، ولا كلام أحد من العشرة ، ولا كلام أحـد من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم ، فعد على نفسك بالملائمة ، وقل : لقد الزمت القوم بما لا يلزمهم ، ولو لزمهم لكان عليك اللوم .

ثم قلت عن المتكلمين : انهم يقولون : [ما يكون على وفق قياس المعقول

الخلقية لم تتخلله هذه المعضلات حتى يحتاج الى القول بالتناسخ . راجع « عقيدتنا وصلتها بالكون والانسان والحياة » تحت عنوان « الانسان نهاية ومصير » . للمحقق . المحقق .

(١) سورة الانفطار آية ٨ .

(٢) سورة البقرة آية ٦١ ، يسن آية ٣٦ .

(٣) الغصة : وهو ما يشعر الانسان به من صعوبة عند البلع أحيانا . بحيث يحتاج الى مسيغ للقمة أو مسهل كالماء أو نحوه من السوائل ابن منظور بتصرف ج ٥ / ٣٢٦٢ . المؤلف هنا يستبعد هذا المعنى الحسى ليستعمله فى المعنويات فالرأى الذى لايستريح اليه الغير لا يستطيع العقل أن يهضمه ولا يملك أن يستسيغه فيصاب بما يشبه الغصة عند من يزدرد الطعام احيانا . المحقق .

فقولوه ، وإلا فانفوه](٤) . والقوم لم يقولوا ذلك ، بل قالوا : صفة الكمال يجب ثبوتها لله ، وصفة النقص يجب نفيها عنه . كما قال الإمام احمد رضي الله عنه ، قالوا : وما ورد من الله تعالى ومن رسوله ﷺ عليه وسلم فليعرض على لغة العرب ، التي ارسل الله تعالى محمدا بلغتها ، كما قال تعالى : « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه »(٥) فما فهمت العرب فافهمه ، ومن جاءك بما يخالفه فانبذ كلامه نبذ الحذاء المرقع ، واضرب بقوله حائط الحشي(٦) . ثم نعقد فصلا ان شاء الله تعالى . بعد افساد ما نزغ به ، في سبب ورود هذه الآيات على هذا الوجه ، فانه انما تلقف ما نزغ به — في مخالفة الجماعة ، واساء القول على الملة — من حثاله الملاحدة الطاعنين في القرآن ، وسنبين ان شاء الله تعالى ضلالهم ، ويعلم اذ ذاك من هو من فراخ الفلاسفة والهنود ، ثم لو استحى الغافل لعرف مقدار علماء الأمة رحمهم الله تعالى ، ثم هل راى من رد على الفلاسفة والهنود والروم والفرس غير هؤلاء الذين جعلهم فراخهم ؟ وهل اتكلوا في الرد على هؤلاء الطوائف على قوم لا عقل لهم ولا بصيرة ولا ادراك ؟ . ثم يذرونهم يستدلون على اثبات الله تعالي في الحجاج على منكره بالنقل ، وعلى منكري النبوة بالنقل حتى يصير مضغة للماضغ ؟ وضحكة للمستهزىء ؟ وشماتة للعدو ؟ وفرحا للحسود ؟ وفي قصة الحسن بن زياد اللؤلؤى(٧) عبرة للمعتبر .

---

(٤) الحموية ص ٩ .

(٥) سورة ابراهيم آية ٤ .

(٦) الحشي المتوضا اى المكان الذى يتوضىء فيه سمي به لانهم كانوا يذهبون أولا عند قضاء الحاجة للبساتين وقيل الى النخل المجتمع . وهذه الأماكن المجتمع فيها النخل ونحوه والتى كانوا يذهبون اليها تسمى حشا فنقل هذا المعنى الى الاماكن التى خصصت لذلك بعد تخصيصها كما تسمى الفناء عذرة فسمه له باسم مايلقى فيه — ابن منظور ج ٢ / ٨٨٧ . المحقق.

(٧) هو الحسن بن زياد اللؤلؤى الكوفى ابو على : قاضي ، فقيه من

ثم أخذ بعد هذا فى أن الأمور العامة اذا نفيت عنها انما يكون دلالتها على سبيل الالغاز . قلنا : وكذلك المجسم يقول لك : دلالة الأمور العامة على نفى الجسمية الغاز .

ثم قال بعد هذا : [يا سبحان الله ! كيف لم يقل الرسول ﷺ يوما من الدهر ، ولا احد من سلف الأمة : هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه ؟] فيقال له : ماالذى دلت عليه حتى يقولوا انه لا يعتقد ؟ هذا تشنيع بحت .

ثم يقول لك المجسم : يا سبحان الله ! لما لم يقل رسول الله ﷺ ، ولا احد من سلف الأمة : ان الله تعالي ليس بجسم ، ولا قالوا : لا تعتقدوا من الأحاديث الموهمة للجسمية ظواهرها ؟ ثم استدل بقوله ﷺ [فى صفة الفرقة الناجية : « هم من كان على مثل ما انا عليه اليوم وأصحابى»](٨) ، قال

=

أصحاب أبى حنيفة أخذ عنه وسمع منه وكان عالما بمذهبه بالرأى ولى القضاء بالكوفة سن ١٩٤هـ ثم استعفى من كتبه « أدب القاضى » « معانى الايمان » و « النفقات » و « الخراج » و « العرائض » و « الأمالى » نسبته الى بيع اللؤلؤ وهو من أهل الكوفة نزل ببغداد وعلماء الحديث يطعنون فى روايته وكان أبوه من موالى الأنصار — الأعلام للزركلى جـ٢ / ص١٩١ وقد ذكر ابن كثير أنه توفى سنة ٢٠٤هـ وكم يترجم له — البداية والنهاية ٢٥٥/١٠ .

(٨) الحموية : ١٢ — أخرج الامام احمد فى مسنده عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « ان بنى اسرائيل قد افترقت على ثنتين وسبعين فرقة وأنتم تفترقون على مثلها كلها فى النار الا فرقة » مسند الامام احمد ١٢٠/٣ وذكر السيوطى فى جامعة الكبير ح ٣٥٩٨ : قال النبى ﷺ : « افترقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين فرقة وتزيد أمتى عليها ليس فيها فرقة أضر على أمتى من قوم يقيسون الدين برأيهم فيحلون ماحرم الله ويحرمون ما أحل الله » الطبرانى فى الكبير — وابن عدى فى الكامل . والخطيب وابن

=

المدعى : (فهلا قال : من تمسك بظاهر القرآن فى آيات الاعتقاد فهو ضال ، وانما الهدى رجوعكم الى مقاييس عقولكم)(٩) فليعلم الناظر انه هاهنا باهت وزخرف وتشبع بما لم يعطه ، فانه قد ثبت ان طريق رسول الله ﷺ واصحابه رضى الله عنهم: الكف عن ذلك ، فما نحن الآمرون به ، وانه هو ليس بساكت، بل طريقة الكلام ، وامر الدهماء بوصف الله تعالى بجهة العلو ، وتجويز الاشارة الحسية اليه ، فليت شعرى ، من الموافق رسول الله ﷺ واصحابه : ولكن صدق القائل : رمتنى بدائها وانسلت(١٠) . ثم المجسم يقول له ، — حذو النعل بالنعل — ما قاله لنا ، ونقول له : — لم يقل رسول الله ﷺ : « الناجية من قال : ان الله فى جهة العلو ، وان الاشارة الحسية اليه جائزة » ؟ — فان قال : هذه طريقة السلف وطريقة الصحابة . قلنا : من اين لك هذا ؟ ثم لا تامن من كل مبتدع ان يدعى ذلك .

= عساكر عن عوف بن مالك رضى الله عنه وضعف . ح — ٣٥٩٩ — قال النبى ﷺ (افترقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين ملة ولن تذهب الليالى ولا الأيام حتى تفترق أمتى على مثلها ، وكل فرقة منها فى النار الا واحدة وهى الجماعة) عبد بن حميد عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه . راجع جامع الأحاديث للسيوطى جـ١/٦٨٧ ط . خطاب . المحقق .

(٩) الحموية ص ١٢ .

(١٠) هذا مثل عربى وله مورد ومورده حكاه ابن منظور قال : « قال : المفضل بن سلمه فى قول العرب رمتنى بدائها وانسلت ، قال : كان سبب ذلك ان سعد بن زيد مناة كان تزوج رهم بنت الخزرج بن تيم الله وكانت من اجمل النساء فولدت له مالك بن سعد وكان ضرائرها اذا ساببنها يقلن لها : ياعفلاء (والعفل : مرض يصيب النساء خاصة) . . . فقالت لها امها : اذا ساببنك فابدئيهن بعفال . فسابتها بعد ذلك امراة من ضرائرها فقالت لها رهم : يا عفلاء ! فقالت ضرتها : رمتنى بدائها وانسلت . راجع لسان العرب ٣٠١٧/٤ — ع ف ل — ابن منظور . المحقق .

ثم افاد المدعي واسند ان هذه المقالة إماخوذة من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين . قال (فان اول من حفظ عنه هذه المقالة ... الجعد بن درهم(١١) ، واخذها عنه جهم ابن صفوان(١٢) ، واظهرها فنسبت مقاله

---

(١١) الجعد بن درهم : (.... نحو ١١٨هـ — ... نحو ٧٣٦م) من الموالي ، مبتدع ، له اخبار في الزندقة ، سكن الجزيرة الفراتية واخذ عنه مروان بن محمد لماولي الجزيزة في ايام هشام بن عبد الملك فنسب اليه قال الذهبي « عداده في التابعين مبتدع ضال زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر » قال ابن الاثير ان مروان تعلم من الجعد مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر :

وقيل : ان الجعد كان زنديقا شهد عليه ميمون بن مهران فسير الى خالد القسري . في العراق فقتله) ويحاول ابن كثير تلميذ بن تيمية ان يثبت السند الذي ذكره ابن تيمية بعد فيقول « وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان واخذها بيان عن طالوت ابن اخت لبيد بن اعصم زوج ابنته واخذها لبيد بن اعصم الساحر الذي سحر رسول الله ﷺ عن يهودي باليمن واخذ عن الجعد الجهم بن صفوان الجزري وقيل الترمذي .... واخذ بشر المريسي من الجهم واخذ احمد بن ابي داود عن بشر ... — ولم يذكر ابن كثير الى الآن يدعه لجعد الا القول بخلق القرآن ولعله يقصد مضافا اليها الزندقه ولسنا ندري ما الذي يقصده بالبدعة المتلقاه من السند المذكور ثم اضاف الى ابن عساكر بعد ذلك قوله ... انه كان يتردد الى وهب بن منبه وانه كان كلما راح الى وهب يغتسل ويقول : اجمع للعقل — (قياسا على الغسل الذي يسبق الجمعة في الاسلام) — وكان يسال وهبا عن صفات الله عز وجل فقال له وهب يوما : ويلك يا جعد ، اقصر المسالة عن ذلك اني لاظنك من الهالكين ... الخ » البداية والنهاية ٩/٣٥٠ وميزان الاعتدال ١/١٨٥ والكامل لابن الاثير ٥/١٦٠ والتاج ٢/٣٢١ ولسان الميزان ٢/١٠٥ واللباب ١/٢٣٠ والنجوم الزاهرة ١/٣٢٢ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٢٢ . المحقق .

(١٢) جهم بن صفوان [١٢٨هـ — ٧٤٥م — جهم بن صفوان السمرقندي

الجهمية اليه ، [قال] : والجعد اخذها عن بيان بن سمعان ، واخذها بيان من طالوت ابن اخت لبيد بن الاعصم واخذها طالوت بن الاعصم اليهودى الذى سحر النبى ﷺ(١٣) .

=
ابو محرز من موالى بنى راسب : رأس « الجهمية » قال الذهبى : الضال المبتدع . هلك فى زمان صغار التابعين وقد زرع شرا عظيما . كان يقضى فى عسكر الحارث بن سريج . الخارج على أمراء خراسان ، فقبض عليه نصر بن سيار ، فطالب جهم استبقاءه فقال نصر : « لا تقوم علينا مع اليمانية اكثر مما قمت » وأمر بقتله فقتل . — ميزان الاعتدال ١ — ١٩٧ والكامل لابن الاثير : حوادث سنة ١٢٨هـ ولسان الميزان ٢ : ١٤٢ وخطط المقريزى ٢ : ٣٤٩/٣٥١ والحور العين ٢٥٥ . وفى المغربى للمطرزى ١ : ١٠١ . المحقق .

(١٣) قصة سحر النبى ﷺ وردت فى كتب الصحاح اخرج البخارى بالسند الى عائشة رضى الله عنها قالت : سحر النبى ﷺ رجل من بنى زريق يقال له لبيد بن الاعصم حتى كان رسول الله ﷺ يخيل اليه انه يفعل شىء وما فعله حتى اذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندى لكنه دعا ودعا ثم قال ياعائشة اشعرت أن الله افتانى فيما استفتيته فيه ؟ اتانى رجلان فقعد احدهما عند راسى والآخر عند رجلى فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل ؟ فقال مطبوب قال من طبه ؟ قال : لبيد من الاعصم قال فى اى شىء ؟ قال فى مشط ومشا طه وجف طلع نخلة ذكر قال واين هو ؟ قال فى بئر ذروان فأتاها رسول الله ﷺ فى ناس من أصحابه فجاء فقال يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء او كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين قلت يا رسول الله افلا استخرجه قاله قد عافانى الله فكرهت ان تثور الناس فيه شرا فامر بها فدفنت . البخارى ك الطب باب السحر .

وهذا الحديث قد تقصاه صاحب رسالة الماجستير فى تفسير ابن عطية جزء عم عند سورة « الفلق » فقال : — اخرجه البخارى .... ومسلم .. والنسائى .. وابن ماجه .. وأحمد .. والبغوى .. ومسند الامام الشافعى واخرون .. راجع حاشية ص ٣٥٠ تحقيق جزء عم من تفسير ابن عطية مخطوطة بمكتبة كلية اصول الدين/نظير الدسوقى مجاهد ، المحقق .

قال : وكان الجعـــد هذا فيما يقال من أهل حران] (١٤) ا . هـ .

فيقال له : أيها المدعى أن هذه المقالة مأخوذة من تلامذة اليهود ، قـــد خالفت الضرورة فى ذلك ، فانه ما يخفى على جميـــع الخواص وكثير من العوام أن اليهود مجسمه مشبهات ، فكيف يكون ضد التجسيم والتشبيه مأخوذا عنهم ؟ وأما المشركون فكانوا عباد أوثان ، بينت الأئمة أن عبدة الأصنام تلامذة المشبهة ، وأن أصل عبادة الصنم التشبيه ، فكيف يكون نفيســه مأخوذا عنهم ؟ وأما الصابئة (١٥) فبلدهم معروف واقليمهم مشهور ، هل نحن

---

(١٤) الحموية ١٢١ .

(١٥) مادة صبأ تدور كلها على الخروج ثم تخصصت نوع من التخصص لتفيد وصفا لكل خارج من دينه الى دين آخر ثم تطلق هذه الكلمة علما على جماعة من المتدينين يدعون كذبا انهم على دين نوح عليه السلام وقبلتهم الى الشمال وقيل انهم يدينون بدين يشبه دين النصارى الا أن قبلتهم الى الجنوب . راجع ابن منظور لســـان العرب مادة صبأ .

وقد استقصى الامام بن كثير الأقوال فى أولئك النفر الذين اشتهروا بالصابئة فأضاف الى ماذكر أقوالا منها أن الصابئة قوم من أهل الفطرة ولكنهم لا شريعة لهم ولا يؤمنون بدين نبى ومنها أنهم عباد للملائكة يتوجهون اليهم بالعبادة ويصلون الخمس ومنها انهم يعبدون النجوم وقد توارثوا هذه العبادة عبـــادة النجوم عن آبائهم الذين اشتهروا أيام النمروذ بعبـــادة النجوم . وقـــد جاء ابراهـــيم الخليـــل مبعوثا لهـــم ومسكنهـــم على ما جاء فى تفسير بن كثير أرض العراق فى جزيرة الموصل وقد عرفهم العرب قديما واختلف الأئمة فى أكل طعامهم وحل ذبائحهم ولا يجز هذه الذبائح للمسلمين الا من قال ان هؤلاء على دين النصارى أو أن ديانتهم خليط من ديانات اليهود والنصارى وعلى هذا الرأى أجاز أطعمتهن وأوجب عليهم الجـــزية وقد اختار الرازى انهم كانوا من عبدة النجوم والكواكب واختار ابن كثير الرأى القائل انهم كانوا على فطرتهم موحدين الا انهم لم يؤمنوا بنبى من الأنبياء . راجع تفسير بن كثير جـ١/١٠٣ ، ١٠٤ .

وبعد هذا التفصيل والايضاح فاننا نتعجب مع بن جهبل من قول بن تيمية الذى يرى فيه أن الذين لا يقولون بالجهة على مذهب هؤلاء الصابئة . المحقق .

منة أو خصومنا ؟ وأما كون الجعد(١٦) بن درهم من اهل حران(١٧) فالنسبة صحيحة ، وترتيب هذا السند الذى ذكره سيساله الله تعالى عنه ، والله من ورائه بالمرصاد ، وليت لو اتبعه ان سند دعواه وعقيدته ان فرعون ظن ان اله موسى فى السماء !

ثم اضاف(١٨) المقالة الى بشر المريسى(١٩) ، وذكر ان هذه التأويلات هى التى ابطلتها الائمة ، ورد بها على بشر ، وان ما ذكره الاستاذ ابو بكر

---

(١٦) الجعد سبقت ترجمته .

(١٧) حران بلد هى الآن ضمن الخريطة السياسية لتركيا وتقع منها فى الجنوب . المحقق .

(١٨) قال ابن تيمية فى الحموية .

« وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدى الناس : مثل اكثر التأويلات التى ذكرها ابو بكر بن فورك فى كتاب التأويلات ، وذكرها ابو عبد الله محمد بن عمر الرازى فى كتابه الذى سماه تاسيس التقديس . ويوجد كثير منها فى كلام خلق كثير غير هؤلاء مثل أبى على الجبائى ، وعبد الجبار بن احمد الهمدانى ، وأبى الحسين البصرى ، وأبى الوفاء بن عقيل وأبى حامد الغزالى وغيرهم : هى بعينها تأويلات بشر المريسى التى ذكرها فى كتابه » . المحقق .

(١٩) بشر المريسى ت ٢١٨هـ موافق ٨٣٣م . هو بشر بن غياث ابن أبى كريمة عبد الرحمن المريسى ، العدوى بالولاء ، ابو عبد الرحمن : فقيه معتزلى عارف بالفلسفة يرمى بالزندقة . وهو راس الطائفة « المريسية » القائلة بالارجاء ، واليه نسبتها . اخذ الفقه عن القاضى ابى يوسف ، وقال برأى الجهمية ، وأوذى فى دولة هارون الرشيد . وكان جده مولى لزيد بن الخطاب وقيل : كان ابوه يهوديا . وهو من اهل بغداد ينسب الى « درب المريس » فيها . عاش نحو ٧٠ عاما له تصانيف . وللدارمى كتاب « النقض على بشر المريسى — ط » فى الرد على مذهبه . وردت ترجمته فى كثير من الكتب منها وفيات الاعيان جـ١/٩١ والنجوم الزاهرة جـ٢/٢٢٨ وتاريخ بغداد جـ٧/٥٦ وكثير غير ذلك . المحقق .

فورك(٢٠) ، والامام فخر الدين الرازى(٢١) ، قدس الله روحهما ، هو ماذكره بشر ، وهذا بهرج لا يثبت على محك النظر القويم ، ولا معيار الفكر المستقيم فانه من المحال ان تنكر الأئمة على بشر أن يقول ما تقوله العرب ، وهذان الامامان ما قالا الا ما قالته العرب ، وما الانكار على بشر الا فيما يخالف فيه لغة العرب ؟ وان يقول عنها ما لم تقله .

---

(٢٠) ابن فورك ت ٤٠٦هـ موافق ١٠١٥م محمد بن الحسن بن فورك الأنصارى الأصبهانى ، أبو بكر : واعظ عالم بالأصول والكلام ، من فقهاء الشافعية سمع بالبصرة وبغداد ، وحدث بنيسابور ، وبنى فيها مدرسة ، وتوفى على مقربة منها فنقل اليها وفى النجوم الزاهرة : قتله محمود بن سبكتكين بالسم لقوله : كان رسول الله ﷺ رسولا فى حياته فقط وان روحه قد بطل وتلاشى له كتب كثيرة وقد ذكـر الزركلى مجموعة منها بين مخطوط ومطبوع انظر الأعلام جـ٦/٨٣ . المحقق .

(٢١) الفخر الرازى ولد سنة ٥٤٤هـ موافق ١١٥٠م ، وتوفى سنة ٦٠٦هـ موافق ١٢١٠م محمد بن عمـر بن الحسن بن الحسين التيمى البكرى ، أبو عبد الله ، فخر الدين الرازى : الامام المفسر . أوحد زمانه فى المعقول والمنقول وعلوم الأوائل . وهو قرشى النسب . أصله من طبرستان ، ومولده فى الرى واليها نسبته ، ويقال له « ابن خطيب الرى » رحل الى خوارزم وما وراء النهر وخرسان وتوفى فى هراة . اقبل الناس على كتبه فى حياته يتدارسونها . وكان يحسن الفارسية . له تصانيف كثيرة فى التفسير والعقائد والشعر أورد الزركلى منها طائفة بين مخطـوط منها ومطبوع انظر الأعـلام جـ٦/٣١٣ ترجم له ابن كثير وزاد على ما قلناه انه كان من فقهاء الشافعية وأن له من التصانيف الكثير احصاها عدا فذكر انها تزيد على المائتين ما بين صغير وكبير وعد بعضها . ثم ذكر ابن كثير ان الرازى له اشياء عجيبة أقول ويظهر لى انه يعنى بها مخالفات الشيخ ابن تيمية وأتباعه فى نحو القول بالتأويل ونفى الجهة ثم قال (وكان مع غزارة علمه فى فن الكلام يقول : — « من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز » وقد ذكرت وصيته عند موته وأنه رجع عن مذهب الكلام فيها الى طريقة السلف وتسليم ما ورد على وجه المراد اللائق بجلال الله سبحانه) . انظر ابن كثير جـ١٣/٥٥ .

ثم اخذ بعد ذلك فى تصديق عزوته الى المهاجرين والانصار رضى الله عنهم ، وشرع فى النقل عنهم ، فقال : [قال الأوزاعى : كنا ، والتابعون متوافرون ، نقول : ان الله — تعالى ذكره — فوق عرشه] (٢٢) . فنقول له : اول ما بدأت به الأوزاعى وطبقته ومن بعدهم ، فأين السابقون الأولون من المهاجرين والانصار ؟ واما قول الأوزاعى فأنت قد خالفته ، ولم تقل به ، لأنك قلت : أن الله [ليس] فوق عرشه ، لأنك قررت أن العرش والسماء ليس المراد بهما الا جهة العلو ، وقلت : المراد من فوق عرشه ، والسماء ذلك(٢٣) ، فقد خالفت قول الأوزاعى صريحا ، مع انك لم تقل قط ما يفهم ،

=

ومن المعروف أن الرازى فخر الدين كان من المذكرين أو الوعاظ بالعربية او الفارسية وكان يحضر مجلسه الملوك والأمراء والمفكرون والعلماء بالاضافة الى عامة الناس ودهمائهم ، والشيء العجيب بل والغريب أن يذكر له الذهبى فى ميزان الاعتدال ترجمة وهو المصنف الذى الفه لرجال الحديث ولم نر فى ترجمة الرازى انه كان من المحدثين ولكنهم لعمرى ما أتى به الا ليلمزه حيث قد خالفه هو وشيخه فى مذهبهما ومنه القول بالجهة فتأمل هدانى الله واياك . المحقق .

(٢٢) الحموية ص ٢٤ — ٢٥ روى البيهقى فى الأسماء والصفات باسناد صحيح عن الأوزاعى قال : كنا — والتابعون متوافرون — نقول : أن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات » .

(٢٣) لعل بن جهبل يشير الى ما سبق له أن ذكره من قبل حيث قال حاكيا عن بن تيمية ومعلقا [... ثم قولك بعد ذلك « العرش » من مخلوقات الله تعالى لا نسبة له الا قدرة الله وعظمته] وقع الينا « الا قدرة الله » فان كانت بألف لام الف كما وقع الينا فقد نفيت العرش وجعلت الجنة هى العظمة والقدرة وصار معنى كلامك : جهة الله عظمته وقدرته والآن قلت ما لايفهم ولا قاله احد وان كان كلامك بألف لام ياء فقد صدقت وقلت الحق ومن قال خلاف ذلك ؟ ولعمرى لقد رمنا لك هذا الكلام ولقناك اصلاحه ! قد سبق أن ذكرنا عبارة ابن تيمية التى اختارها محقق الحموية قال ابن تيمية [وأن العرش خلق من مخلوقات الله لانسبة له الى قدرة الله وعظمته] الحموية ص ٧٢ . المحقق .

فان قررت ان السماء فى العرش كحلقة ملقاة فى فلاة ، فكيف تكون هى هو ؟ ثم من اين لك صحة هذا النقل عن الاوزاعى(٢٤) ؟ . وبعد مسامحتك فى ذلك ، ما قال الاوزاعى : الله فوق العرش حقيقة ؛ فمن اين لك هذه الزيادة ؟ ! ونقل عن مالك بن انس والثورى(٢٥) والليث(٢٦) والاوزاعى ، انهم [قالوا فى احاديث الصفات : أمروها كما جاءت](٢٧) . فيقال له : لم لا امسكت على ما امرت به الأئمة ؟ بل وضعت الله بجهة العلو ! ولم يرد بذلك خبر ، ولو بذلت قراب(٢٨) الارض ذهبا على ان تسمعها من عالم ربانى لم تفرح بذلك ، بل

---

(٢٤) الأوزاعى:٨٨/١٥٧هـ هو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعى من قبيلة الأوزاع أبو عمرو:امام الديار الشامية فى الفقه والزهد واحد الكتاب المترسلين ولد فى بعلبك ونشأ فى البقاع . وسكن بيروت وتوفى بها . وعرض الضاء عليه فامتنع . له كتاب ، السنن فى الفقه — والمسائل — لأحد العلماء، مخطوط فى محاسن الاوزاعى — الاعلام للزركلى ج ٣ / ٣٢٠ . المحقق .

(٢٥) الثورى هو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى من بنى ثور بن عبد مناه من مصر أبو عبد الله : امير المؤمنين فى الحديث . كان سيد اهل زمانه فى علوم الدين والتقوى ولد ونشـــأ فى الكوفة . كان يفر من القضاء لتقواه مات بالبصرة . له من الكتب الجامع الكبير والجامع الصغير كلاهما فى الحديث . وكتاب فى الفرائض . وكان اية فى الحفظ . ولابن الجوزى كتاب فى مناقبه . الاعلام للزركلى ج ٣ / ١٠٤ ، ١٠٥ توفى سنة ١٦١هـ . المحقق .

(٢٦) — الليث:٩٤ — ١٧٥هـ.هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى بالولاء أبوالحارث:امام أهل مصر فى عصره حديثا وفقها.قال ابن تفرى‌بردى « كان كبير الديار المصرية ورئيسها وامير من بها فى عصره بحيث ان القاضى والنائب من تحت امره ومشورته » اصله من خراسان ومولده فى قلقشنده — ووفاته فى القاهرة . وكان من الكرماء الاجواد — ترجم له بن حجر فى كتاب مخطوط — الاعلام للزركلى ج ٥ / ٢٤٨ . المحقق .

(٢٧) الحموية ص ٢٥ .

(٢٨) قراب الشىء وقرابه وقرابته ما قارب قدره . وفى الحديث ان =

تصدقت ونقلت على ما خطر لك ، وما أمررت ولا أقررت ولا امتثلت مانقلته عن الائمة .

وروى قول ربيعة (٢٩) ومالك: [الاستواء غيرمجهول](٣٠)فليتشعرى من قال انه مجهول ؟ بل انت زعمت انه المعني عينته (٣١) واردت أن تعزوه الى الامامين ، ونحن لا نسمح لك بذلك .

ثم نقل من مالك انه قال للسائل : [الايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك الا مبتدعا . فامر به فاخرج](٣٢) . فيقال له : ليت شعرى!

لقيتنى بقراب الأرض خطيئة أي بما يقارب ملأها وهو مصدر : قارب يقارب . ابن منظور ج ٥ / ٣٥٦٧ [قرب] . المحقق .

(٢٩) ربيعة الرأى توفى سنة ١٣٦ هـ امام حافظ فقيه مجتهد كان بصيرا بالرأى وأصحاب الرأى عند أهل الحديث هم أصحاب القياس لأنهم يقولون برأيهم . فيما لم يجدو فيه حديثا أو أثرا فلقب ربيعة الرأى . قال ابن الماجشون : ما رأيت أحــدا احفظ لسنه من ربيعة . وكان صاحب الفتوى بالمدينة وبه تفقه الامام مالك بالهاشمية من ارض الانبار — الاعلام للزركلى ج ٣ / ١٧ . المحقق .

(٣٠) روى الخلال — باسناد كلهم ائمة ثقات — عن سفيان بن عيينة قال: سئل ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن قوله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ قال « الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق » وهذا الكلام مروى عن مالك ابن انس تلميــذ ربيعة بن أبى عبــد الرحمن من غير وجه — الحموية ص ٢٥ — ٢٦ .

(٣١) يشير بن جهبل الى اتفاق العلماء على أن الاستواء غير مجهول ويأخذ على ابن تيمية انه فسر العلم بالاستواء بان الله فى جهة هى جهة العلو وانه على عرشه . المحقق .

(٣٢) بتصرف من الحموية ص ٢٦ .

من امتثل منا قول مالك ؟ هل امتثلناه نحن ، حيث أمرنا بالامساك ، والجمنا العوام عن الخوض فى ذلك ، او الذى جعله دراسته ، يلقيه ويلقفه ويلقنه ويكتبه ويدرسه ، ويامر العوام بالخوض فيه ؟ وهل انكر على المستفتى(٣٣) فى هذه المسالة بعينها ، واخرجه ، كما فعل مالك رضى الله عنه فيها بعينها ؟ وعند ذلك يعلم ان ما نقله عن مالك حجة عليه لا له .

ثم نقل عن عبد العزيز بن عبد الله بن ابى سلمه الماجشون(٣٤) ، انه قال : وقد سئل عما جحدت به الجهمية : [اما بعد فقد فهمت فيما سالت فيما تتابعت فيه الجهمية] ومن خلفها فى صفة الرب العظيم الذى فاقت عظمته الوصف والتقـريـر ، وكذلك الألسن عن تفسير صفته ، وانحسرت العقول دون معرفة قدرته ، ردت عظمته العقول فلم تجد مساغا فرجعت خاسئة وهى حسيرة ، وانما أمروا بالنظر والتفكير فيما خلق بالتقدير ، وانما يقال « كيف » لمن لم يكن مرة ثم كان ، فأما الذى لا يحول ولا يزول ، ولم يزل ، وليس له مثل ، فانه لا يعلم كيف هو الا هو ، وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ومن لا يموت ولا يبلى ؟ وكيف يكون لصفة شيء منه حد أو منتهى يعرفه عارف ، او يحد قدرته واصف ؟ على انه الحق المبين ، لا حق أحـق منه ، ولا شيء أبين منه .

---

(٣٣) يشير الى السائل الذى من اجله انشات الفتوى الحموية . المحقق .

(٣٤) (... — ١٦٤هـ — ... — ٧٨٠م) عبد العزيز بن عبد الله بن ابى سلمه التيمى ، مولاهم ، المدنى أبو عبد الله ، فقيه ، من حفاظ الحديث الثقات . له تصانيف ، كان وقورا عاقلا ثقه ، أصله من أصبهان ، نزل المدينة ، ثم قصد بغداد فتوفى فيها ، وصلى عليه الخليفة المهدى ودفن فى مقابر قريش ، وهو يعد من فقهاء المدينة ، تذكرة الحافظ ٢٠٦/١ وتهذيبه ٣٤٣/٦ والجمع ٣٠٩ وتاريخ بغداد ٤٣٦/١٠ ، والتبيان — خ وفيه «الماجشون لقب لأبى سلمه ، لزمه لحمرة وجهه ، ثم أطلق على بنيه ويستفاد من التاج ٤ / ٣٤٨ أن الجيم مثلثة ، تضم وتفتح وتكسر ، تعريب « ماه كون » أى لون القمر . المحقق .

والدليل على عجز المقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة اصغر خلقة ، فلاتكاد تراه صغيرا يحول ويزول ، ولايرى له سمع ولابصر ، بل مايتقلب به ويحتال من عقله اعضل بك واخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره ، فتبارك الله احسن الخالقين وخالق العالمين ، وسيد السادات وربهم] (٣٥) .

ثم نقل عنه الأحاديث(٣٦) الواردة فى الصفات ، وذكر قوله . [« والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه »(٣٧) قال : فو الله مادلهم على عظيم ما وصف من نفسه ، وما تحيط به قبضته الا صغر نظرها(٣٨) منهم عندهم ان ذلك الذى القى فى روعهم وخلق على معرفة قلوبهم ، فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله ﷺ ، سميناه كما سماه ، ولم نتكلف منه صفة ما سواه ، لا هذا ولا هذا ، لا نجحد ما وصف ، ولا نتكلف معرفة مالم يصف](٣٩) . وبسط الماجشون كلامه فى تقرير هذا . فنقول لهذا الحاكى(٤٠) : نعم الحجة اتيت بها ، ولكن لنا ، ونعم السلاح حملت ، ولكن للعدى .

أما كلام عبد العزيز رضى الله عنه ، وما ذكر من كبرياء الله وعظمته ، انها تحير العقول ، وتشده (٤١) الفهوم ، فهذا قاله العلماء نظما ونثرا ،

---

(٣٥) الحموية : ص ٢٧ .
(٣٦) الحموية ص ٢٨ .
(٣٧) سورة الزمر آية ٦٧ .
(٣٨) فى الحموية : نظيرها ص ٢٨ .
(٣٩) الحموية : ص ٢٨ ، ٢٩ .
(٤٠) يقصد ابن تيمية الحاكى لكلام ابن الماجشون .
(٤١) يقول شده يشده شده اذا دهش والدهش افصح استعمالا منها ابن منظور لسان العرب ج ٤ / ٢٢١٨ . المحقق .

وأنت أزريت(٤٢) على سادات الأئمة وأعلام الأمة فى ثانى صفحة(٤٣) نزغت بها، حيث اعترفوا بالعجز والتقصير ، ونعيت عليهم ذلك ، وعددته عليهم زينا ، وأنت معذور وهم معذورون ، وجعلت قول عبد العزيز حجتك ، وقد ذكر فى القبضة ما يقوله المتكلمون فى كل موضع ، وأمر عبد العزيز أن يصف الرب بما وصف به نفسه ، وأن يسكت عما وراء ذلك ، وذلك قولنا وفعلنا وعقدنا(٤٤) وأنت وصفته بجهة العلو ، وما وصف بها نفسه ، وجوزت الاشارة الحسيه اليه ، وماذكرنا ، نحن أمررنا الصفات كما جاءت ، وأنت جمعت بين العرش والسماء بجهة العلو ، وقلت : فى السماء حقيقة ، وفى العرش حقيقة(٤٥) ، فسبحان واهب العقول ، ولكن كان ذلك فى الكتاب مسطورا ».

---

(٤٢) زرى : زريت عليه وزرى عليه بالفتح ، زريا وزرايه ومزريه ومزراة وزريانا عابه وعاتبه ابن منظور لسان العرب ج ٢ / ١٨٣٠ «المحقق .

(٤٣) تحدث ابن تيمية فى افتتاح الحموية وفى غيرها بحماس بالغ ونشاط جازم غير متردد ولوم شديد على المخالفين حول قضية صفات الله ومعرفته وبين أن العقول تحيط بذلك بل هذا هو واجب النبي ورسالته التى جاء من أجلها ليبلغها الى الناس وهو واجب الصحابة والتابعين من بعده بل هو فى مكنة كل عقل بدءا من ضعفاء العقول ودهماء الناس وانتهاء بالعباقرة والعظماء من الأمة فتأمل . المحقق .

(٤٤) العقد : ضد الحل وهو فى المعارف أعلاها وأرقاها ولا يكون الا فى كل معرفة انعقد القلب عليها بحيث لا يقبل شكا كما ينعقد الحبل بحيث لا يقبل فكاكا ولذا تسمى أعلى درجات المعرفة عقيدة وهى من هذه المادة » المحقق .

(٤٥) الحموية بتصرف ص ٧٢ .

[ثم ذكر عن محمد بن الحسن(٤٦) اتفاق الفقهاء على وصف الرب بما جاء فى القرآن وأحاديث الصفات](٤٧) .

فنقول له : نحن لا نترك من هذا حرفا ، وأنت قلت : أصف الرب تعالى بجهة العلو ، وأجوز الاشارة الحسية اليك ، فأين هذا فى القرآن واخبار

---

(٤٦) الشيبانى (١٣١ — ١٨٩هـ = ٧٤٨ — ٨٠٤م) هو محمد بن الحسن بن فرقد من موالى بنى شيبان ابو عبد الله امام بالفقه والأصول وهو الذى نشر علم ابى حنيفة اصله من قرية حرسته فى غوطه دمشق ، وولد بواسط ونشأ بالكوفة فسمع من أبى حنيفة وغلب عليه مذهبه وعرف به وانتقل الى بغداد فولاه الرشيدى القضاء بالرقة ثم عزله ولما خرج الرشيد الى خراسان صحبه فمات فى الربى ونعته الخطيب البغدادى بامام أهل الرأى ذكر له صاحب الأعلام كتبا فى الأصول والفقه بين مخطوط ومطبوع . اهـ راجع الاعلام للزركلى ٦/٨٠ . المحقق .

(٤٧) بتصرف من الحموية ص ٣٢ وهذه عبارته : (قال — يقصد محمد بن الحسن — اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن والأحاديث التى جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ فى صفة الرب عزوجل من غير تفسير ولاوصف ولاتشبيه فمن فسر اليوم شيئا من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبى ﷺ وفارق الجماعة فانهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن افتوا بمافى الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال يقول جهم فقد فارق الجماعة لانه قد وصفه بصفة لا شىء . اهـ والمتأمل فى هذا الكلام الذى ساقه ابن تيميـــة يجد انه على خلاف رأيه فلم يقل بالعلو ولم يجرؤ أن يقول بالاستواء الحقيقى بلْ وقف عند حدود ما وصف الله به نفسه وأرجىء علم ما وراء ذلك لله عز وجلْ ومن عجائب الأمور أن ابن تيمية الذى يستشهد بهذا الكلام هنا يصف هذا المسلك ونحوه بأنه مسلك التجهيم وهو امر لا يليق كما اشرنا الى ذلك مرارا . المحقق .

الثقات ؟ ما امدتنا فى الفتيا(٤٨) من ذلك شيئا .

ونقل عن ابى عبيد القاسم بن سلام(٤٩) رضى الله عنه ، انه قال [اذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها ، وانه قال : ما ادركنا احدا يفسرها](٥٠) .

---

(٤٨) يقصد الحموية بالدرجة الاولى وما يشابهها من امثالها عند ابن تيمية — المحقق .

(٤٩) أبو عبيد ولد ١٥٧هـ موافق ٧٧٤م وتوفى ٢٢٤هـ موافق ٨٣٨م ، القاسم بن سلام الهروى الأزدى الخزاعى ، بالولاء ، الخرسانى البغدادى ، ابو عبيد : من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه . من أهل هراة ، ولد وتعلم بها ، وكان مؤدبا ، ورحل الى بغداد فولى القضاء بطرسوس ثمانى عشرة سنة ، ورحل الى مصر سنة ٢١٣هـ والى بغداد ، فسمع الناس من كتبه ، فتوفى بمكة ، وكان منقطعا للأمير عبد الله بن طاهر ، كلما الف كتابا اهداه اليه واجرى له عشرة آلاف درهم وذكر له الزركلى مصنفات كثيرة ما بين مخطوط ومطبوع فى مجالات متعددة كالحديث والادب وغيرهما .

انظر الأعلام جـ٥/١٧٦ وتذكرة الحفاظ جـ٢/٥ وتهذيب التهذيب جـ٧/٣١٥ وغيرها . المحقق .

(٥٠) هذا جزء كلامه فى الحموية وعبارته كما نقلها فى الحموية هكذا ... [روى البيهقى وغيره باسناد صحيح عن أبى عبيد القاسم بن سلام قال « هذه الاحاديث التى يقول فيها « ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره » ، « وأن جهنم لا تمتلىء حتى يضع ربك فيها قدمه » « الكرسى موضع القدمين » وهذه الاحاديث فى الرواية : هى عندنا حق حملها لثقات بعضهم عن بعض غير اننا اذا سئلنا عن تفسيرها لا تفسرها وما ادركنا أحد يفسرها » الحموية ص ٣٢ .

سبق أن عرضنا لبعض هذه الأحاديث كحديث الكرسى وبان لنا ضعفه وعلى الجملة فان ابا عبيد بن سلام موقفه فى غاية السلامة حيث اقر بالصحيح من الروايات وترك معرفة معانيها الى الله عز وجل ونعود الى نفس التساؤل ما موضع الاستشهاد هنا ولماذا ذكر ابن تيمية هذا الكلام مع انه لا يوافق مذهبه ؟ فبالله من حيرة على حيرة . المحقق .

فنقول له : الحمد لله ، حصل المقصود ، ليت شعرى ! من فسر السماء والعرش وقال : معناهما جهة العلو ، ومن ترك تفسيرهما وأمرهما كما جاء ! ؟

ثم نقل عن ابن المبارك(٥١) رضى الله عنه ، أنه قال : [يعرف ربنا بأنه فوق سمائه على عرشه ، بائن من خلقه ، ولا نقول كما تقول الجهمية انه ها هنا فى الأرض](٥٢) .

فنقول له : قد نص عبد الله انه فوق سمائه على عرشه ، فهل قال عبد الله : ان السماء والعرش واحد ، وهى جهة العلو ؟ ونقل عن حماد بن زيد(٥٣) أنه قال : [هؤلاء الجهمية انما يحاولون ان يقولوا : ليس فى السماء شيء] (٥٤) .

---

(٥١) ابن المبارك (١١٨ — ١٨١ هـ = ٧٣٦ — ٧٩٧م).

عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى بالولاء ، التميمى ، المروزى أبو عبد الرحمن الحافظ شيخ الاسلام المجاهد التاجر صاحب التصانيف والرحلات . أفنى عمره فى الأسفار حاجا ومجاهدا وتاجر . وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء . كان من سكان خراسان ومات بهيت (على الفرات) منصرفا من غزو الروم . له كتاب فى « الجهاد » وهو أول من صنف فيه ، و « الرقائق » مخطوط فى مجلد .

انظر الأعلام للزركلى (٤/١١٥) : تذكرة الحفاظ (١/٢٥٣) . المحقق .

(٥٢) الحموية بتصرف ص ٣٣ .

(٥٣) حماد بن زيد ولد (٩٨هـ = ٧١٧م) وتوفى ١٧٩ هـ موافق ٧٩٥م ، حماد ابن زيد بن درهم الأزدى الجهضمى ، مولاهم ، البصرى ، أبو اسماعيل شيخ العراق فى عصره . من حفاظ الحديث المجودين : يعرف بالأزرق . أصله من سبى سجستان ، ومولده ووفاته فى البصرة . وكان ضريرا طرأ عليه العمى يحفظ أربعة آلاف حديث . خرج الأئمة الستة .

انظر الأعلام جـ٢/٢٧١ ، تذكرة الحفاظ جـ١/٢١١ ، وتهذيب جـ٣/٩ وحلية الأولياء جـ ٦/٢٥٧ وغيرها . المحقق .

(٥٤) الحموية ص ٣٣ بتصرف .

فنقول له ايضا : انت قلت بمقالتهم ، فانك صرحت بأن السماء ليس هى ذاتها(٥٥) ، بل المعنى الذى اشتقت منه ، وهو السمو ، وفسرته بجهة العلو ، فالأولى لك أن تنعى على نفسك مانعاه حماد على الجهمية . ونقل عن ابن خزيمة(٥٦) ان [من لم يقل ان الله فوق سموانه على عرشه ، بائن من خلقه ، وجب أن يستتاب ، فان تاب والا ضربت عنقه ، ثم القى على مزبلة ، لئلا يتأذى به أهل القبلة وأهل الذمة](٥٧) .

فيقال له : الجواب عن مثل هذا قد تقدم ، على أن ابن خزيمة قد علم الخاص والعام حديثه فى العقائد ، والكتاب الذى صنفه فى التشبيه ، وسماه بالتوحيد ، ورد الأئمة عليه . أكثر من أن يذكر ، وقولهم فيه ما قاله هو فى غيره ، معروف . [ونقل عن عباد الواسطى(٥٨) ، وعبد الرحمن بن

---

(٥٥) انظر الحموية ص ٧٢ .

(٥٦) ابن خزيمة (٢٢٣ — ٣١١هـ = ٨٣٨ — ٩٢٤م) محمد بن اسحاق بن خزيمة السلمى ، أبو بكر : امام نيسابور فى عصره . كان فقيها مجتهدا ، عالما بالحديث . مولده ووفاته بنيسابور . رحل الى العراق والشام والجزيرة ومصر ولقبه السبكى بامام الأئمة . تزيد مصنفاته على ١٤٠ منها كتاب « التوحيد واثبات صفة الرب » مطبوع ، « مختصر المختصر » المسمى « صحيح بن خزيمة » مطبوع ثلاثة مجلدات منه حققها الدكتور مصطفى الأعظمى ومازالت بقيته تتهيأ للنشر وتقع فى مجلدين آخرين كما فى مطبوعات المكتب الاسلامى ببيروت انظر الأعلام للزركلى ، طبقات السبكى ١٣٠/٢ ، طبقات الحفاظ للسيوطى . المحقق .

(٥٧) الحموية ص ٣٤ .

(٥٨) عباد الواسطى ولد ١١٨هـ = ٧٣٦م وتوفى ١٨٥هـ = ٨٠١م عباد بن العوام بن عمر بن عبد الله الكلابى الواسطى ، أبو سهل . من رجال الحديث ، ثقة . كان يتشيع ، فحبسه هارون الرشيد ثم أطلقه ، فأقام ببغداد ، وكان من نبلاء الرجال فى كل أمره انظر الأعلام ٢٥٧/٣ ، وتهذيب التهذيب ٩٩/٥ وتذكره الحفاظ ٢٤١/١ . المحقق .

مهدى(٥٩) ، وعاصم بن على بن عاصم(٦٠) ، نحوا مما نقله عن حماد ، وقد بينـــاه](٦١) .

ثم ذكر بعـــد ذلك ما صح عن انس بن مالك(٦٢) رضى الله عنه ، قال : [كانت زينب تفتخـــر على أزواج النبى ﷺ ، تقول : زوجكن أهـــاليكن ، وزوجنى الله من فوق سبع سموات . فنقول : ليس فى هذا الحديث ان زينب قالت : ان الله فوق سبع سموات ، بل ان تزويج الله اياها كان من فوق سبع سموات](٦٣) .

---

(٥٩) عبد الرحمن بن مهدى ولد ١٣٥هـ = ٧٥٢م وتوفى ١٩٨هـ = ٨١٤م عبد الرحمن بن مهدى بن حسان العنبرى البصرى اللؤلؤى ، أبو سعيد : من كبار حفاظ الحديث . وله فيه « تصانيف » حدث ببغداد ، ومولده ووفاته فى البصرة . قال الشافعى لا أعرف له نظيرا فى الدنيا .

انظر الأعلام ٣/٣٣٩ ، وتهذيب التهذيب ٦/٢٧٩ ، وحلية الأولياء ٩/٣ وغيرها . المحقق .

(٦٠) عاصم بن على بن عاصم توفى ٢٢١هـ = ٨٣٦م عاصم بن على بن عاصم ابن صهيب التيمى ، بالولاء ، أبو الحسين . من حفاظ الحـــديث الثقات من أهل واسط مولدا ووفاة . نزل بغداد ، وحدث فيها برحبة النخل (فى مسجد الرصافة) وكان يجلس على احد السطوح ، وينتشر الناس فى الرحبة ، ويقدر مجلسه بمائة الف انسان . وهو من شيوخ البخارى : قال الذهبى : كان من أئمة السنة ، قوالا بالحق ، احتج به البخارى .

انظر الأعلام ٣/٢٤٨ ، ميزان الاعتدال ٢/٤ ، وتذكرة الحفاظ ١/٣٥٩ وغيرها . المحقق .

(٦١) الحموية ص ٣٤ .

(٦٣) ترمذى كتاب التفسير سورة الأحزاب ، البخارى توحيد باب ٢٢ (وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم) جـ ١٣ — ٧٤٢٠ المطبعة السلفية .

ثم نقـــل عن ابى سليمان الخطابى(٦٤) ما نقله عن عبـــد العـــزيز الماجشون(٦٥) ، وقد بينا موافقتنا له ، ومخالفته لذلك .

وحكاه أيضا عن الخطيب(٦٦) ، وأبى بكر الاسماعيلى(٦٧) ، ويحيى بن

---

(٦٤) ، (٦٥) سبقت ترجمته .

(٦٦) الخطيب البغدادى ولد ٣٩٢هـ — ١٠٠٢م وتوفى ٤٦٣هـ — ١٠٧٢م احمد بن على بن ثابت البغدادى ، أبو بكر ، المعروف بالخطيب : أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين مولده فى «عزيه» منتصف الطريق بين الكوفة ومكة ، ومنشأة ووفاته ببغداد رحل الى مكة وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرهـــا ، وعاد الى بغداد فقربه رئيس الرؤساء ابن سلمة (وزير القائم العباسى) وعرف قدره ثم حدثت شؤن خرج على اثرها مستترا الى الشام فأقام مدة فى دمشق وصور وطرابلس وحلب سنة ٤٦٢ هـ — ولمـــا مرض مرضه الأخير وقف كتبه وفرق جميع ماله فى وجوه البر وعلى أهل العلم الحديث . وكان فصيح اللهجة عارفا بالأدب ، يقول الشعر ولوعا بالمطالعة والتأليف . ذكر ياقوت أسماء ٥٦ كتابا من مصنفاته . وليوسف العش كتاب « الخطيب البغدادى مؤرخ بغداد ومحدثها — ط » أورد فيه أسماء ٧٩ كتابا من مصنفاته .

انظر الأعلام ١٧٢/١ ، طبقات الشافعية ١٢/٣ النجوم الزاهرة ٨٧/٥ وغيرها . المحقق .

(٦٧) أبو بكر الاسماعيلى توفى ٢٩٥هـ = ٩٠٨م ، هو محمد بن اسماعيل بن مهران النيسابورى ، أبو بكر المعروف بالاسماعيلى : من حفاظ الحديث ، ثقة . جمع حديث « الزهرى » و « حديث مالك » وحديث يحيى بن سعيد وحديث عبد الله بن دينار وحديث موسى بن عقبة .

انظر الأعلام ٣٥/٦ ، لسان الميزان ٨١/٥ ، شذرات الذهب ٢٢١/٢ وغيرها . المحقق .

عمـــار (٦٨) ، وأبى اسماعيل الهروى (٦٩) ، وأبى عثمان الصابونى (٧٠).

وحكى عن أبى نعيم الأصبهانى(٧١) أن الأحاديث الثابته فى الاستواء

---

(٦٩) شيخ الاسلام ابو اسماعيل الهروى ولد ٣٩٦هـ = ١٠٠٦م وتوفى ٤٨١هـ = ١٠٨٩م عبد الله بن محمد بن على الانصارى الهروي ، أبو اسماعيل. شيخ خراسان فى عصره من كبار الحنابلة ، من ذرية أبى أيوب الأنصـــارى . كان بارعا فى اللغة ، حافظا للحديث ، عارفا بالتاريخ والأنساب . مظهرا للسنة داعيا اليها . امتحن واوذى وسمع يقول : عرضت على السيف خمس مرات ، لا يقال لى ارجع عن مذهبك لكن يقال لى اسكت عمن خالفك فأقول لا أسكت وله مصنفات .

انظر الأعلام ١٢٣/٤ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٦٤/١ . المحقق .

(٧٠) أبو عثمان الصابونى شيخ الاسلام ولد ٣٧٣هـ = ٩٨٣م وتوفى ٤٤٩ هـ = ١٠٥٧م هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل ، أبو عثمان الصابونى : مقدم أهل الحديث فى بلاد خراسان لقبه أهل السنة فيها بشيخ الاسلام ، فلا يعنون — عند اطلاقهم هذه اللفظة — غيره . ولد ومات فى نيسابور . وكان فصيح اللهجة ، واسع العلم ، عارفا بالحـــديث والتفسير ، يجيد الفارسية اجادته العربية وله مصنفات .

انظر الأعلام ٣١٧/١ ، وطبقات الشافعية ١١٧/٣ ، وتهذيب ابن عساكر ٢٧/٣ . المحقق .

(٧١) أبو نعيم الأصبهانى (٣٦٠ — ٤٣٠هـ = ٩٤٨ — ١٠٣٨م) احمد بن عبد الله بن احمد الأصبهـــانى أبو نعيم : حافظ مؤرخ من الثقات فى الحفظ والرواية ولد ومات فى أصبهان من تصانيفه « حليـــه الأوليـــاء وطبقـــات الأصفياء — ط » وطبقات المحدثين والرواة — ط « — ودلائل النبوة ط » وغير ذلك من الكتب » ابن خلكان ٢٦/١ ، ميزان الاعتدال : ٥٢/١ ، والتبيان — خ — وفيه « ولا يلتفت الى قول من تكلم فيه لأنه صـــدرق عمـــده » . والأعلام للزركلى ١٥٧/١ . المحقق .

يقولون بها ، ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ، وهو مستو على عرشه فى سمائه دون أرضه .

حكاه عن معمر الاصبهانى ، وقد بينا لكَ غير ما مره أنه مخالف لهــذا ، وأنه ما قال به طرفة عين الا ونقضه ، لأن السماء عنده ليست هى المعروفة ، وأن السماء والعرش لا معنى لهما الا جهة العلو .

وحكى عن عبد القادر الجيلى(٧٢) أنه قال : الله بجهة العلو مستو على عرشه .

فليت شعرى ! لم احتج بكلامه وتركَ مثل جعفر الصادق والشبلى والجنيد وذى النون المصرى وجعفر بن نصــير ، وأضرا بهــم رضى الله عنهم(٧٣) ؟

واما ما حكاه عن أبى عمر بن عبد البر(٧٤) ، فقد علم الخاص والعام

---

(٧٢) عبد القادر الجيلى ولد ٤٧١هـ — ١٠٧٨م وتوفى ٥٦١هـ — ١١٦٦م عبد القادر ابن موسى بن عبد الله بن جنكى دوست الحسينى ، أبو محمد ، محى الدين الجيلانى او الكيلانى او الجيلى : مؤسس الطريقة القادرية . من كبار الزهاد والمتصوفين ولد فى جيلان (وراء طبرستان) وانتقل الى بغداد شابا ، سنة ٤٨٨هـ فاتصل بشــيوخ العلم والتصوف ، وبرع فى أساليب الوعظ ، وتفقه ، وسمع الحديث ، وقرأ الأدب ، واشتهر . وكان يأكل من عمل يده . وتصدر للتدريس والافتاء فى بغداد سنة ٥٢٨ هـ وتوفى بها وذكر له صاحب كتاب الأعلام بعض مصنفاته .

انظر الاعلام ٤٧/٤ ، والنجوم الزاهرة ٣٧١/٥ ، وطبقات الشعرانى ١٠٨/١ وغيرها . المحقق .

(٧٣) هؤلاء الاعلام سبقت ترجمتهم .

(٧٤) أبو عمر بن عبد البر : (٣٦٨ — ٤٦٣هـ = ٩٧٨ — ١٠٧١م) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبى المالكى أبو عمر : من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخ ، أديب ، بحاثة ، يقال له حافظ المغرب ولد =

مذهب الرجل ومخالفة الناس له ، ونكير المالكية عليه ، أولا وآخرا مشهور ، ومخالفته لامام المغرب أبى الوليد الباجى(٧٥) معروفه ، حتى ان فضلاء المغرب يقولون : لم يكن أحد بالمغرب يرى هذه المقالة غيره وغير ابن أبى زيد (٧٦) ، على أن العلماء : منهم من قد اعتذر عن ابن أبى زيد ، بما هو موجود فى كلام القاضى الأجل أبى محمد عبد الوهاب البغدادى المالكى(٧٧) ، رحمه الله .

= بقرطبة ورحل رحـــلات طويلة فى غرب الأندلس وشرقيها وولى قضاء لشبونه وشنترين وتوفى بشاطبة . . من كتبه « الدرر فى اختصار المغازى والسير — ط» « والعقل والعقلاء » و « الاستيعاب — ط » مجلدان فى تراجم الصحابه وجامع بيان العلم وفضله — ط . . . وآثاره المحفوظ له كثيرة بين مطبوع ومخطوط انظر ترجمته فى نحو بغية الملتمس ٤٧٤ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣٤٨/٢ والديباج ٣٥٧ وسماه « يوسف بن عمر ابن عبد البر » والأعلام للزركلى ٢٤٠/٨ . المحقق .

(٧٥) أبو الوليد الباجى : (٤٠٣ — ٤٧٤هـ = ١٠١٢ — ١٠٨١م) سليمان ابن خلف بن سعد التجيبى القرطبى أبو الوليد الباجى : فقيه مالكى كبير من رجال الحديث أصله من بطليوس ومولده فى باجه بالأندلس تنتقل فى البلدان فرحل الى الحجاز وبغداد والموصل ودمشق وحلب ثم عاد الى الأندلس وولى القضـــاء فى بعض أنحائها وتوفى بالمرية له كتب وآثار منها المطبوع والمخطوط . الأعلام للزركلى : ١٢٥/٣ . المحقق .

(٧٦) ابن أبى زيد توفى سنة ٣٨٦هـ هو عبد الله بن عبد الرحمن ، كنيته أبو محمد من فقهاء المذهب المالكى ، ومن كبار رجاله ، يعد من الطبقة السادسة مشهور بينهم بأنه شارح المذهب ، وله كتب كثيرة من بينها رسالة فى الأصول راجع ترجمته فى نحو الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ٤٢٧/١ طبعة دار التراث . المحقق .

(٧٧) القاضى أبو محمد عبد الوهاب البغدادى : (٣٦٢ — ٤٢٢هـ = ٩٧٣ — ١٠٣١م) عبد الوهـــاب بن على بن نصر الثعلبى البغدادى أبو محمد : =

ثم انه قال : ان الله فى السماء على العرش ، من فوق سبع سموات ، ولم يعقل ما معنى فى السماء على العرش من فوق سبع سموات .

ثم ان ابن عبد البر ما تأول هذا الكلام ، ولا قال كمقاله المدعى ان المراد بالعرش والسماء جهة العلو .

ثم نقل عن البيهقى (٧٨) رحمه الله ، مالا تعلق له بالمسألة : واعاد كلام من سبق ذكره .

ثم ذكر بعد ذلك شيخنا أبا الحسن على بن اسماعيل الأشعرى(٧٩) ، وأنه يقول : الرحمن على العرش استوى ، ولا تتقدم بين يدى الله تعالى فى القول ، بل نقول : استوى بلا كيفة .

وهذا الذى نقله عن شيخنا هو نحلتنا وعقيدتنا ، لكن نقله لكلامه ما أداه

= قاضى . من فقهاء المالكية ، له نظم ومعرفة بالأدب ولد ببغداد وولى القضاء فى اسعرد ، وباذرايا (فى العراق) ورحل الى الشام فمر بمعرة النعمان واجتمع بأبى العلاء وتوجه الى مصر فعلت شهرته فتوفى فيها . الأعلام ٤ / ١٨٤ . المحقق .

(٧٨) البيهقى : (٣٨٤ — ٤٥٨هـ = ٩٩٤ — ١٠٦٦م) أحمد بن الحسين ابن على أبو بكر : من ائمة الحديث ولد فى خسرو جرد (من قرى بيهق بنيسابور) ونشأ فى بيهق ورحل الى بغداد ثم الى الكوفة ومكة وغيرهما وطلب الى نيسابور فلم يزل فيها الى أن مات ونقل جسمانه الى بلده ومن أشهر كتبه فى العقائد « الأسماء والصفات — ط » الأعلام : ١١٦/١ . المحقق .

(٧٩) ابو الحسن الأشعرى : (٢٦٠ — ٣٢٤هـ = ٨٧٤ — ٩٣٦م) مشهور وهو : على بن اسماعيل بن اسحاق أبو الحسن من نسل الصحابى أبى موسى الأشعرى : مؤسس مذهب الأشاعرة كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين ولد فى البصرة وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم وتوفى ببغداد . مصنفاته عديدة وترجمته فى أكثر من كتاب من كتب التراجم . الأعلام . ٢٦٣/٤ . المحقق .

الا تصـــد الايهام ان الشيخ يقول بالجهة ، فان كان كذلك فلقــد بالغ فى البهت(٨٠) .

وكلام الشيخ (٨١) فى هذا انه قال : كان ولا مكان ، فخلق العــرش والكرسى ، فلم يحتج الى مكان ، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه .

وكلامه وكلام اصحابه رحمهم الله يصعب حصره فى ابطالها(٨٢) ثم حكى ذلك عن القاضى ابى بكر ، وامام الحرمين .

ثم تمسك برفع الأيدى الى السماء(٨٣) ، وذلك انما كان لاجل ان السماء تنزل البركات والخيرات ، فان الانوار انما تنزل منها والامطار ، واذا الف الانسان حصول الخيرات من جانب قال طبعه اليه ، فهذا المعنى الذى اوجب رفع الأيدى الى السماء،وقال الله تعالى:«وفى السماء رزقكم وما توعدون»(٨٤) . ثم ان اكتفى بمثل هذه الدلالة فى مطالب اصول العقائد ، فما يؤمنه من مدع يقول : الله تعالى فى الكعبة ، لان كل مصل يوجه وجهه اليها(٨٥) ، ويقول :

---

(٨٠) بهت مصدر للفعل بهت الرجل اخاه اى قال عنه مالم يفعله فى وجهه وهى أعلى درجات الكذب وكما يجيء المصدر هكذا — بهتا — كما ضبطناه فى الاصل ياتى ايضا : بهت ، بهتانا . المحقق .

(٨١) يعنى بالشيخ هنا — ابا الحسن الاشعرى . المحقق .

(٨٢) يعنى ابطال مقولة الجهة التى ينسبون الله اليها . المحقق .

(٨٣) من الأهم الأدلة التى يتمسك بها القائلون بالجهة ان المسلمون مقتدون بالنبى ﷺ فى رفع الأيدى عند الدعاء الى السماء قال اصحاب هذا المذهب وفى هذا دلالة على أن الله فى السماء اذ لو لم يكن كذلك لما كان لرفع الأيدى تجاه السماء معنى . المحقق .

(٨٤) سورة الذاريات آية ٢٢ .

(٨٥) شرح هذه الفكرة باستفاضة الامام الغزالى فى كتابه « الاقتصاد فى الاعتقاد » حيث بين أن الأيدى الى السماء عند الدعاء يساوى استقبال القبلة والسجود الى الأرض فى الصلاة والوقوف بعرفه ... الخ ولم يقل احد ان الله فى الكعبة أو عرفات . المحقق .

« وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض (٨٦) » او يقول : الله الأرض، فان الله تعالى قال : « كلا لا تطعه واسجد واقترب » (٨٧) والاقتراب بالسجود فى المسافة انما هو فى الأرض . وقال النبى ﷺ : « اقرب ما يكون العبد فى سجوده » (٨٨) .

ثم ذكر بعد ذلك ما اجبنا عنه من حديث الاوعال(٨٩) وذكر بعد ذلك مالا تعلق له بالمسئلة ،وأخذيقول : انه حكى عن السلف مثل مذهبه ، والى الآن ما حكى مذهبه عن أحد ، لا من سلف ولا من خلف ، غير عبد القادر الجيلى(٩٠) ، وفى كلام ابن عبد البر(٩١) بعضه ، وأما العشرة(٩٢) وباقى

---

(٨٦) سورة الأنعام آية ٧٩ .

(٨٧) الآية الأخيرة من سورة العلق .

(٨٨) لعله يشير الى ما رواه مسلم بالسند الى أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال [اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء] مسلم ك الصلاة باب ما يقال فى الركوع والسجود — ج ٤ — ٢٠٠ ط المصرية ومكتبتها/ القاهرة . والحديث له روايات اخرى فى النسائى فى كتاب التطبيق باب الأمر بالاجتهاد فى الدعاء فى السجود ، أبى داود ك/الصلاة باب الدعاء فى الركوع والسجود/الترمذى ك الدعوات ، أحمد ج ٢ ص ٤٢١ . المحقق .

(٨٩) سبق تخريجه وبيان ضعفه .

(٩٠) سبقت ترجمته .

(٩١) سبقت ترجمته .

(٩٢) العشرة هم المبشرون بالجنة وهم الخلفاء الأربعة ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وابوا عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف . المحقق .

الصحابة رضى الله عنهم فما نبس(٩٣) عنهم بحرف . ثم أخذ بعد ذلك فى مواعظ وادعية لا تعلق لها بهذا ، ثم اخذ فى سب أهل الكلام ورجمهم — وما ضر القمر من نبحه — وقد تبين بما ذكرناه أن هذا الخبر الحجة(٩٤) يرجم فتياه أنه يقول ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، ولم ينقل مقالته عن أحد من الصحابة .

واجب المسلم تجاه نصوص الصفات

واذ قد أتينا على افساد كلامه ، وايضاح ايهامه ، وازالة ابهامه ، ونقض ابرامه ، وتنكيس أعلامه ، فلنأخذ بعد هـذا فيما يتعلق بغرضنا وأيضاح نحلتنا(٩٥) ، فنقول وبالله التوفيق :

على سامع هذه الآيات والأخبار المتعلقة بالصفات ما قدمناه من الوظـائف ، وهى : (أ) التقـديس (ب) والايمـان والتصـديق (جـ) والاعتراف بالعجز (د) والسكوت والامساك عن التصرف فى الألفاظ الواردة ، وكف الباطن عن التفكير فى ذلك (هـ) واعتقاده أن ما خفى عنه لم يخف عن الرسول ﷺ ولا عن الصديق ، ولا عن أكابر الصحابة رضى الله عنهم .

ولنأخذ الآن فى ابراز اللطائف من خفيات هذه الوظائف ، فأقول وبالله المستعان .

أما التقديس فهـو أن يعتقد فى كل آية أو خبر معنى يليق بجـلال الله تعالى ، مثال ذلك : اذا سمع قوله ﷺ : « ان الله ينزل كل ليلة الى السماء

---

(٩٣) النبس اقل الكلام وما نبس أى ما تحركت شفتاه ابن منظور لسان العرب حـ ٦/٤٣٢٤ والقاموس المحيط ح ٢/٢٦٢ط مصطفى البابى الحلبى .

(٩٤) المراد بالخبر الحجة حديث السجود السابق ونحوه . المحقق .

(٩٥) فى لغة العرب ما يجيز اطلاق النحلة على التدين بحسب أصل الوضع الا ان اصطلاح مؤرخى الأديان خصصوا النحلة بالديانات الوضعية وخصصوا الملة بكل ديانة لها أصل سماوى والشيخ هنا قد استعمل النحلة بحسب وضعها اللغوى لا بحسب ما صارت اليه من وضع اصطلاحى المحقق .

الدنيا » (٩٦) وكان النزول يطلق على ما يفتقر الى جسم عال ، وجسم سافل ، وجسم متنقل من العالى الى السافل ، والنزول : انتقال جسم من علو الى سفل ، ويطلق على معنى آخر لا يفتقر الى انتقال ولا حركة جسم ، كما قال الله تعالى : « وانزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج »(٩٧) مع أن النعم لا تنزل من السماء ، بل هى مخلوقة فى الأرحام قطعا ، فالنزول له معنى غير حركة الجسم ، لا محالة .

وفهم ذلك من قول الامام الشافعى (٩٨) رضى الله عنه ، [دخلت مصر فلم يفهموا كلامى ، فنزلت ثم نزلت ثم نزلت] . ولم يرد حينئذ الانتقال من علو الى سفل . فليتحقق السامع أن النزول ليس بالمعنى الأول فى حق الله تعالى ، فان الجسم على الله محال .

وان كان لا يفهم(٩٩) من النزول الانتقال(١٠٠) ، فيقال له : من عجز عن فهم نزول البعير فهو عن فهم نزول الله عز وجل أعجز . فاعلم أن لهذا معنى

---

(٩٦) لعله يشير الى الحديث الذى اخرجه الامام احمد فى مسنده بالسنة الى أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اذا بقى ثلث الليل نزل الله عز وجل الى سماء الدنيا فيقول من ذا الذى يدعونى فأستجيب له من ذا الذى يستغفرنى فاغفر له من ذا الذى يسترزقنى فارزقه من ذا الذى يستكشف الضر فأكشفه عنه حتى يتفجر الفجر » أحمد ج ٢ / ٢٥٨ .

(٩٧) سورة الزمر آية ٦ .

(٩٨) سبق التعريف به .

(٩٩) يقصد بن تيمية .

(١٠٠) لعله يقصد [... وان كان لا يفهم من النزول سوى الانتقال ...] ويكون معنى الجملة أن الذى لا يفهم من النزول سوى الانتقال فانه بالقطع لا يفهم معنى نزول الأنعام من السماء ومن عجز عن فهم نزول البعير من السماء فهو عن فهم نزول الله عز وجل أعجز . المحقق .

يليق بجلاله . وفى كلام عبد العزيز الماجشون السابق الى هذا مرامز (١) . وكذلك لفظه « فوق » الواردة فى القرآن والخبر فيعلم ان « فوق » تارة تكون للجسمية ، وتارة للمرتبة ، كما سبق ، فيعلم أن الجسمية على الله محال . وبعد ذلك : أن له معنى يليق بجلاله تعالى (٢) .

وأما الايمان والتصديق به ، فهو أن يعلم ان رسول الله ﷺ صادق فى وصف الله تعالى بذلك ، وما قاله حق لا ريب فيه ، بالمعنى الذى اراده ، والوجه الذى قاله ، وان كان لا يقف على حقيقة(٣) ، ولا يتخبطه الشيطان فيقول : كيف اصدق بأمر جملى لا اعرف عينه ، بل يخزى الشيطان ، ويقول : كما اذا اخبرنى صادق ان حيوانا فى دار ، فقد ادركت وجوده ، وان لم أعرف عينه ، فكذلك ها هنا . ثم ليعلم أن سيد الرسل ﷺ قد قال : « لا أحصى ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك » (٤) وقال سيد الصديقين (٥) رضى الله عنه : العجز عن درك الادراك ادراك(٦) .

وأما الاعتراف بالعجز : فواجب على كل من لا يقف على حقيقة هذه

---

(١) جمع مرمز الميم مثل ضرب مضرب . المحقق .

(٢) الى هنا انتهى من شرح الادب الأول الذى يجب توافره عند من يسمع الآيات والأحاديث الواصفة الله تعالى وهو أن يكون على جانب يؤهله الى تقديس الله عز وجل ورفضه لكل ما ينافى مرتبة الأولوهية . المحقق .

(٣) الضمير هنا يعود على قارىء النص أو سامعه ولا يعود على النبى صلى الله عليه وسلم المحقق .

(٤) سبق تخريج هذا الحديث المحقق .

(٥) يعنى ابا بكر الصديق وقد سبق أن اورد هذا النص المحقق .

(٦) الى هنا قد انهى الأدب الثانى ومفاده انه يجب على قارىء النص الذى ثبتت نسبته الى النبى ﷺ أن يسلم بهذا النص معتمدا على القاعدة الكبرى وهى أن النبى صادق يبلغ من ربه . المحقق .

المعانى الا اقرار بالعجز ، فان ادعى المعرفة فقد كلف(٧) ، وكل عارف وان عرف فما خفى عليه اكثر .

وأما السكوت فواجب على العلوم ، لأنه بالسؤال يتعرض لما لا يطيقه ، فهو ان سأل جاهلا زاده جهــلا ، وان سأل عالمــا لم يمكن العالم افهامه ، كما لا يمكن البالغ تعليم الطفل لذة الجماع ، وكذلك تعليمه مصلحة البيت وتدبيره ، بل يفهمه مصلحته فى خروجه المكتب(٨) .

فالعامى اذا سأل عن مثل هذا يزجر ويردع ، ويقال له : ليس [هذا] بعشك فأدرجى(٩) . وقد أمر مالك(١٠) باخراج من سأله ، فقال : ما اراك الا رجل سوء ، وعلاه الرحضاء(١١) .

وكذلك فعل عمر رضى الله عنه بكل من سأل عن الآيات المتشابهة ، وقال ﷺ : « انما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال »(١٢) . وورد الأمر

---

(٧) كلف يكلف كلفا وكلفه — اذا اشتغل بمالا يعنيه وأجهد نفسه فيه — ابن منظور بتصرف ج ٥ / ٣٩١٦ . المحقق .

(٨) المكتب — هو المكان المخصص لتدريس القرآن ونحوه ويسمونه أحيانا الكتاب . المحقق .

(٩) التناس بمثل عربى سائر . المحقق .

(١٠) سبقت ترجمته .

(١١) العرق .

(١٢) الحديث ورد فى مسلم ك/الحج/والترمذى ك العلم/والنسائى ك الحج / وابن ماجه المقدمة ، أحمد فى أكثر من موضع واللفظ ج ٢ / ٢٤٧ بالسند الى أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ذرونى ما تركتم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ما نهيتكم عنه فانتهوا وما أمرتكم فأتوا منه ما استطعتم » . المحقق .

بالامساك عن القدر(١٣) ، فكيف [عن] الصفات :

واما الامساك عن التصرف فى هذه الاخبار والآيات ، فهو ان يقولها كما قالها الله تعالي ورسوله ﷺ ولا يتصرف فيها بتفسير ولا تأويل ، ولا تصريف ولا تفريق ولا جمع .

فأما التفسير : فلا يبدل لفظه لغة بأخرى ، فانه قد لا يكون قائما مقامه ، فربما كانت الكلمة تستعار فى لغة دون لغة ، وربما كانت مشتركة فى لغة دون لغة ، وحينئذ يعظم الخطب بترك الاستعارة ، وباعتقاده أن أحد المعنيين هو المراد المشترك .

واما التأويل . فهو ان يصرف الظاهر ، ويتعلق بالمرجوح فان كان عاميا فقد خاض بحرا لا ساحل له ، وهو غير سابح ، وان كان عالما لم يجز له ذلك الا بشرائط التأويل ، ولا يدخل مع العامى فيه ، لعجز العامى عن فهمه .

---

(١٣) اخرج احمد بالسند الى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان نفرا كانوا جلوسا بباب النبى ﷺ فقال بعضهم : الم يقل الله كذا وكذا وقال بعضهم الم يقل الله كذا وكذا تسمع ذلك رسول الله ﷺ فخرج كانما فقىء فى وجهه حب الرمان فقال بهذا امرتم او بهذا بعثتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انما ضلت الامم قبلكم فى مثل هذا انكم لستم مما ههنا فى شيء انظروا الذى أمرتم به فاعملوا به والذى نهيتم عنه فانتهوا » .

ومن طريق اخرى الى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ايضا قال : ان رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم يتنازعون فى القدر هذا ينزع آية فذكر الحديث » مسند الامام أحمد ج ٢ ص ١٩٦ .

وفى الترمذى نحو هذا الحديث الى ابى هريرة وحكم عليه بانه غريب من هذا الوجه الا ان له نظائر عن عمر وعائشة وانس — الترمذى كتاب ٣٣ باب ج ٤ ص ٤٤٣ . المحقق .

وأما كيف باطنه : فلئلا يتوغل في شيء يكون كفرا ، ولا يتمكن من صرفه عن نفسه ، ولا يمكن غيره ذلك(١٤) .

وأما اعتقاده أن النبى ﷺ يعلم ذلك ، فليعلمه ، ولا يقس نفسه به ولا بأصحابه ، ولا بأكابر العلماء ، فالقلوب معادن وجواهر(١٥) .

---

(١٤) الى هذا نهاية الأدب الرابع وخلاصته انه لا يجوز لعالم ولا عامى أن يتصرف فى النصوص الشرعية ولا أن يوجه خاطره لهذا التصرف . لوعورة الطريق وصعوبة الحصول بل استحالة الحصول على ما يريد . المحقق .

(١٥) وينهى ابن جهبل بهذا حديثه عن الآداب التى ينبغى أن يأخذ المؤمن نفسه بها والقواعد التى ينبغى أن ينطلق منها وطبقا لهذه القاعدة الخامسة يجب أن يعتقد المؤمن بأن النبى يعلم عن الله أشياء لا نعلمها ويعلم الصحابى أشياء ربما لا يعلمها عامة التابعين فالعلم رزق والقلوب معادن فيجب علينا أن لا نتطاول الى مكانه هؤلاء ونقيس انفسنا بهم ولا ضير علينا فى ذلك ولا خلل يعترى ايماننا ، ثم ينطلق ابن جهبل بعد ذلك مؤسسا كلامه على هذه القواعد الخمسة ومقسما قوله الى قسمين يجعل كل واحد منهما فصلا برأسه وأحد الفصلين خصصه للحديث عن تنزيه الله عز وجل عن الجهة وهو ما نحن بصدده الآن ، والفصل الثانى خصصه لابطال ماذكره ابن تيمية زاعما أن النصوص الشرعية قائلة به ويرى علماء الكلام أن الله متنزه عنه فلنشتغل مع ابن جهبل بالفصل الأول . المحقق .

فصل : فى تنزيه الله تعالى عن الجهة

ثم الكلام بعد هذا فى فصلين : احدهما فى تنزيه الله تعالى عن الجهة ، فنقـــول :

مقاييس الحق والباطل :

الأول : ان القوم ان بحثوا بالأخبار والآثار فقد عرفت ما فيها ، وأنهم ما ظفروا بصحابى ولا تابعى يقول بمقالتهم ، على أن الحق فى نفس الامر أن الرجال تعرف بالحق ، ولا يعرف الحق بالرجال ، وقد روى أبو داود فى سننه، عن معـــاذ رضى الله عنه انه قال : اقبلوا الحق من كل ما جاء به وان كان كافرا، او قال : فاجرا ، واحذروا زيغة الحكيم ، قالوا : كيف نعلم أن الكافر يقول الحق ؟ قال : ان على الحق نورا (١٦) . ولقد صدق رضى الله عنه ـــولوتطوقنا

---

(١٦) رواية أبى داود كما وقفت عليها هكذا بالسند الى يزيد بن عميرة « وكان من أصحاب معاذ بن جبل قال : كان لا يجلس مجلسا للذكر حين يجلس الا قال : الله حكم قسط ، هلك المرتابون ، فقال معاذ بن جبل يوما : ان من ورائكمفتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر فيوشك قائل ان يقول : ما للناس لا يتبعونى وقد قرأت القرآن ؟ ما هم بمتبعى حتى ابتدع لهم غـيره فاياكم وما ابتدع فان ما ابتدع ضلاله ، وأينذركم ، زيغة الحكيم (أى انحراف العالم عن الحق) فان الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق . قال : قلت لمعاذ : ما يدرينى — رحمك الله — أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة ، وان المنافق قد يقول كلمة الحق ؟ قال : بلى ، اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التى يقال لها : ما هذه ولا يثنيك ذلك عنه ، فانه لعله أن يراجع ، وتلق الحق اذا سمعته ، فان على الحق نورا » سنن أبى داود ٢ — ٥٥٤ ط ٢ مصطفى الحلبى — كتاب السنة باب فى لزوم السنة . وهو فى مختصر سنن أبى داود للمنذرى تحت رقم ٤٤٣٧ . المحقق .

قلادة التقليد لم تأمن أن كافرا يأتينا بمن هو معظم فى ملته ويقول : اعرفوا الحق بهذا(١٧) . واذ قد علمت أن القوم لا مستروح(١٨) لهم فى النقل ، فاعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يخاطب الا أولى العقول والألباب والبصائر ، والقرآن طافح بذلك ، والعقل هو المعروف (أ) بوجود الله تعالى ووحدته ، (ب) ومبرهن رسالة أنبيائه ، اذ لا سبيل الى معرفة اثبات ذلك بالنقل(١٩) ، (جـ) والشرع قد عدل العقل وقبل شهادته ، واستدل به فى مواضع من كتابه ، كالاستدلال بالانشاء على الاعادة(٢٠) وقوله تعالى : « وضرب لنا

(١٧) يعلق ابن جهبل هنا على المبدأ الذى ذهب اليه معاذ وأقره العقل وهو اذ الحق لا يعرف بالرجال ولكن يعرف الحق بذاته وتقاس عليه الرجال ثم يستنتج من هذا المبدأ نتيجة مؤداها أننا لو التزمنا بتقليد الرجال وقسمنا الحق اليهم بحيث لا نعرفه الا بهم ووضعنا ذلك كالقلادة فى أعناقنا لاحتج علينا متدين بغير الاسلام وزكى رجالا فى ديانته وقال : ما جاء منسوبا اليهم يكون هو الحق طبقا لمعيار التقليد . المحقق .

(١٨) فى القاموس مستراح بالألف قال ابن منظور « المستراح : المخرج وعنده ايضا استراح اليه واستروح اليه استنام . لسان العرب ١٧٧١/٣ . المحقق .

(١٩) يشير الى قوله تعالى « ... كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين » الأنبياء : ١٠٤ وقوله تعالى : « أفعيينا بالخلق الأول بل هم من لبس من خلق جديد » ق : ١٥ وغير ذلك مما يشبهه . المحقق .

(٢٠) سبق أن تناولنا هذه المسألة ضمن كتاب تحت عنوان « عقيدتنا وصلتها بالكون والحياة والانسان وفى فصل خاص بالمنهج بينا أن الاسلام قد أعطى للعقل مجالا يتحرك فيه بقدر ما يستطيع العقل أن يتحرك وما يستطيع

مثلا ونسى خلقه »(٢١) ولقد هدم الله تعالى بهذه الآية مباحث الفلاسفة فى انكار المعاد الجسمانى(٢٢) .

واستدل به على التوحيد ، فقال الله تعالى « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (٢٣) .

وقال تعالى : « وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض »(٢٤) .

وقال تعالى : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض »(٢٥) .

وقال تعالى : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض »(٢٦) .

العقل أن يتحرك فيه اثبات وجود الله ووحدانيته واثبات صدق مدعى النبوة ان كان صادقا ثم هو لا يستطيع بعد ذلك الا أن يفهم عن الله مراده فيما أراد له ان يفهم . المحقق .

(٢١) سورة يس آية ٧٨ .

(٢٢) لم يتسع عقل الفلاسفة الاسلامين فى الماضى لقبول فكرة اعادة الاجسام مع الأرواح للعرض والحساب فى الآخرة وقرروا أن الحشر للروح فقط والثواب والعقاب فى الآخرة لها على طريقتهم وقد عارضوا بتلك النصوص الشرعية القطعية ولذا عد الامام الغزالى هذه المسألة ومعها مسألتين هذه المسائل الثلاث التى كفر الفلاسفة بسببها . راجع « تهافت الفلاسفة ، ومقاصد الفلاسفة كلاهما للامام الغزالى » . المحقق .

(٢٣) سورة الأنبياء آية ٢٢ .

(٢٤) سورة المؤمنون آية ٩١ .

(٢٥) سورة الاعراف آية ١٨٥ .

(٢٦) سورة يونس آية ١٠١ .

وقال تعالى : « قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا »(٢٧) .

وقال تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم » (٢٨) . فياخيبة من رد شاهدا قبله الله ، وأسقط دليلا نصبه الله . فهم(٢٩)يلغون مثل هذا ويرجعون الى أقوال مشايخهم ،الذين لو سئل أحدهم عن دينه لم يكن له قوة على اثباته ، واذا ركض(٣٠) عليه فى ميدان التحقيق جاء سكيتا(٣١) وقال : سمعت الناس يقولون شيئا فقلته .

---

(٢٧) سورة سبأ آية ٤٦ .

(٢٨) سورة فصلت آية ٥٣ .

يلاحظ هنا أن الشيخ ذكر مجالات العقل الثلاثة ثم استشهد لها من القرآن الكريم على غير الترتيب الذى ذكرها به فلم يذكر أولا شواهد (أ) ثم شواهد (ب) ثم شواهد (جـ)وانما ذكر آياته على غير الترتيب السابق وهى طريقة فى البلاغة معروفة باسم اللف والنشر المشوش . المحقق .

(٢٩) يقصد أولئك النفر الذين يعرفون الحق بالرجال ويطوقون أنفسهم قلادة التقليد ولو أنهم عرفوا الحق لعرفوا أهله ، وقد بلغ من حمق هؤلاء أنهم لا يعرفون أن يقيموا الدليل أو يثبتوا دينهم بالبرهان فى وجه أعدائهم الذين ينالون من أصول دينهم كل يوم وهم مكتوفوا الأيدى لا يحركون ساكنا . المحقق .

(٣٠) الركض : فى أصل اللغة الضرب ملحوظا معه أن يكون بالرجل وشاع فى الدواب اذا حركت رجليها دفعة واحدة والمقصود هنا « ركض عليه » اعتدى عليه بأوسع معنى للاعتداء ليشمل الاعتداء العقلى . المحقق .

(٣١) السكيت : مصغر ساكت والتحقيق أكثر من التثقيل . وقال الزمخشرى فى الأساس : وفلان سكيت الحلبة للمتخلف فى صناعة . المحقق .

وفى صحيح البخارى فى حديث الكسوف ما يعرف به حديث هؤلاء فى قبورهم(٣٢) . وبعد ذلك يقول العقل الذى هو مناط التكليف ، وحاسب لله تعالى الناس به ، وقبل شهادته ونصبه ، واثبت به أصول دينه وقد شهد بخبث هذا المذهب(٣٣) ، وفساد هذه العقيدة ، وانها آلت الى وصفه تعالى بالنقائض ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

---

(٣٢) اخرج البخارى قال :

حدثنا عبد الله بن يوسف قال اخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن امرأة بنت المنذر عن اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهما انهما قالت « أتيت عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ — حين خسفت الشمس — فاذا الناس قيام يصلون ، واذا هى قائمة تصلى . فقلت : ما للناس ؟ فاشارت بيدها الى السماء وقالت : سبحان الله : فقلت : آية ؟ فاشارت اى نعم : قالت : فقمت حتى تجلانى الغشى فجعلت أصب فوق رأس الماء فلما انصرف رسول الله ﷺ حمد الله واثنى عليه ثم قال : ما من شىء كنت لم اره الا قد رايته فى مقامى هذا حتى الجنة والنار . ولقد اوحى الى انكم تفتنون فى القبور مثل — او قريبا من — فتنه الدجال (لا ادرى أيتهما قالت أسماء) فيقول : محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدى فاجبنا وآمنا واتبعنا فيقال له : نم صالحا ، فقد علمنا ان كنت لموقنا . وأما المنافق — أو المرتاب — (لا ادرى ايتهما قالت اسماء) فيقول : لا ادرى . سمعت الناس يقولون شيئا فقلته » .

البخارى — كتاب الكسوف باب صلاة النساء مع الرجال فى الكسوف — ٢ ج ١٠٥٣ . المحقق .

(٣٣)نبهنا انه يقصد بالمذهب الفاسد ذلك الذى يعرف الحق بالرجال ويؤمن بمبدأ التقليد لهم من غير اعمال العقل فيما لا يجوز للعقل أن يعمل فيه ولا يخفى ان ابن جهل ينسب ابن تيمية واصحابه الى هذا المذهب وهم يعتزون بذلك ولا ينكرونه . المحقق .

براهين نفى الجهة عن الله عز وجل :

وقد نبهت (٣٤) مشايخ الطريق على ما شهد به العقل ، ونطق به القرآن ، بأسلوب فهمته الخاصه ، ولم تنفر منه العامة . وبيان ذلك بوجوه :

البرهان الاول : وهو المقتبس من ذى الحسب الزكى ، والنسب العلى ، سيد العلماء ، ووارث خير الانبياء ، جعفر الصادق ، رضى الله عنه ، قال : « لو كان الله فى شىء لكان محصورا »(٣٥) .وتقرير هذه الدلالة : انه لو كان فى جهة لكان مشارا اليه بحسب الحسى ، وهم يعلمون ذلك ، ويجوزون الاشارة الحسية اليه .

واذا كان فى جهة مشارا اليه لزم تناهيه ، وذلك لانه اذا كان فى هذه الجهة دون غيرها ، فقد حصل فيها دون غيرها ، ولا معنى لتناهيه الا ذلك ، وكل متناه محدث ، لأن تخصيصه بهذا المقدار دون سائر المقادير لابد له من مخصص .

فقد ظهر بهذا البرهان الذى يبده(٣٦) العقول : أن القول بالجهة يوجب كون الخالق مخلوقا والرب مربوبا ، وأن ذاته متصرف فيها ، وتقبل الزيادة والنقصان ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

---

(٣٤) ذكر الفعل هنا بالتانيث على أن فاعله — مشايخ وهو جمع تكسير وقد قال علماء العربية فى الفاعل من هذا النوع انه يؤنث له الفعل ويذكر فمن انث فعلى معنى الجماعة ومن ذكر فعلى معنى الجمع . المحقق .

(٣٥) سبق ان ترجمنا لجعفر الصادق وأشرنا الى مكان النص . المحقق .

(٣٦) بدهه بالأمر : استقبله به تقول : بدهه أمر يبدهه بدها فجاه . لسان العرب ج ٢٣٣/١ ويشير المصنف بهذا التعبير الى ان هذا الدليل ينزل من المعقول منزلة واضحة لا تحتمل المراء كما لا يحتمله الأمر البدهى . المحقق .

البرهان الثانى : —

المستفاد من كلام الشبلى رضى الله عنه ، شيخ الطريق وعلم التحقيق ، فى قوله : « الرحمن لم يزل ، والعرش محدث ، والعرش بالرحمن استوى »(٣٧) .

وتقريره : أن الجهة التى يختص الله تعالى بها . **على قولهم** ، تعالى الله عنها ، وسموها العرش : اما ان تكون معدومة أو موجودة ، والقسم الأول محال بالاتفاق(٣٨) وأيضا فانها تقبل الاشارة الحسية ، والاشارة الحسية الى العدم محال ، فهى موجودة ، واذا كانت موجودة ، فان كانت قديمة مع الله فقد وجد [لنا] قديم غير الله وغير صفاته ، فحينئذ لا يدرى أيهما الاله وهذا خبث(٣٩) هذه العقيدة .

وان كانت حادثة فقد حدث التحيز بالله تعالى ، فيلزم أن يكون الله قابلا لصفات نفسية حادثه ، تعالى الله عن ذلك .

البرهان الثالث :

المستفاد من لسان الطريقة وعلم الحقيقة وطبيب القلوب والدليل على المحبوب ، أبى القاسم الجنيد ، رضى الله عنه ، قال : متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير عن له شبيه ونظير ؟ هيهات هيهات ! هذا ظن عجيب (٤٠) وتقرير هذا البرهان : أنه لو كان فى جهة : فاما أن يكون أكبر أو أصغر ، والحصر ضرورى . فان أكبر ، كان القدر المساوى منه للجهة مغايرا للقدر

---

(٣٧) سبقت الاشارة الى الشبلى والنص فيما تقدم . المحقق .

(٣٨) يبدو أن المصنف لا قيم وزنا للرأى المخالف حيث حكى الاتفاق والا فان ابن تيمية ورفاقه يقولون ان الجهة أمر عدمى لا وجودى . المحقق .

(٣٩) كأنه يستنكر ويسخر من القائلين بالجهة حيث أقروا لها بالقدم مع الله فرارا من الاشكالات ، ولكنهم استجاروا من الرمضاء بالنار حيث الزمهم المؤلف ما ترى ولا مفر لهم من ذلك . المحقق .

(٤٠) أشرنا الى ترجمة الجنيد وبينا مصدر النص قبل . المحقق .

الفاضل منه ، فيكون مركبا من أجزاء وابعاض ، وذلك محال ، لأن كل مركب فهو مفتقر الى جزئه ، وجزؤه غيره ، وكل مركب مفتقر الى الغير ، وكل مفتقر الى الغير لا يكون الها .

وان كان مساويا للجهة فى المقدار ، والجهة منقسمة لامكان الاشارة الحسية إلى أبعاضها ، فالمساوى لها فى المقدار منقسم .

وان كان أصغر منها ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فان كان مساويا لجوهر فرد(٤١) ، فقد رضوا لأنفسهم بأن الههم قدر جوهر فرد .

وهذا لا يقوله عاقل ، — وان كان مذهبهم لا يقوله عاقل ، — لكن هذا فى بادىء الرأى يضحك منه جهله االزنج(٤٢) وان كان أكبر منه انقسم ، فانظروا الى هذه النحلة ، وما قد لزمها ، تعالى الله عنها .

البرهـــان الرابع :

المستفاد من جعفر بن نصير ، رحمه الله ، وهو انه « سئل عن قوله

---

(٤١) الجوهر عند الفلاسفة هو الذى يشغل الحيز من الفراغ ويقوم بنفسه مثل الأجسام وهو على خلاف العرض ، والعرض لا يشغل حيزا من الفراغ ويحتاج فى الوقت نفسه الى جوهر يقوم به كالضحك والألوان ، فنحن لا نجد ضحكا الا اذا كان قائما بالضحك والجوهر ينقسم الى قسمين ، فان كان مركبا من أجزاء صغرت أو كبرت كان جـــوهرا مركبا ، ان كان لا يقبل القسمة الى أجزاء كان جوهرا بسيطا او فردا . المحقق .

(٤٢) يعرض ابن جهبل بمذهب القائلين بالجهة وطريقتهم فى معرفة الحق بالرجال ، فيقول : انه لا يحزنهم ان يكون مذهبهم لا تفهمه العقول ويرى ابن جهبل أن هذه وان كانت نقطة واضحة الا أن المذهب قد بلغ فى التردى مرحلة لا يسخر منها عامة الناطقين بالعربية فحسب ولا يهزأ بها خواص العجم فقط بل ان التردى بالمذهب قد وصل الى مرحلة يضحك منها الزنج . المحقق .

تعالى : « الرحمن على العرش استوى »(٤٣) فقال : استوى علمه بكل شىء؛ فليس شىء اقرب اليه من شىء » وتقرير هذا البرهان : ان نسبه الجهات اليه على السوية فيمتنع ان يكون فى الجهة .

وبيان ان نسبتها اليه على السوية : انه قد ثبت ان الجهة امر وجودى ، فهى ان كانت قديمة مع الله لزم وجود قديمين متميزين بذاتيهما ، لانهما ان لم يتميزا بذاتيهما ، فالجهة هى الله تعالى ، والله هو الجهة ، تعالى الله عن ذلك . وان لم تكن قديمة ، فاختصاصه بها اما أن يكون لان ذاته اقتضت ذلك فيلزم كون الذات فاعلة فى الصفات النفسية ، او غير ذاتية ، فنسبه الجهات الى ذاته على التسويه فمرجح جهة على جهة امر خارج عن ذاته ، فلزم افتقاره فى اختصاصه بالجهة الى غيره ، والاختصاص بالجهة هو عين التحيز ، والتحيز صفة قائمة بذات المتحيز ، فلزم افتقاره فى صفة ذاته الى غيره ، وهو على الله تعالى محال .

تعقيب على براهين نفى الجهة :

ثم اعلم ، ان هذه البراهين التى سردناها وتلقيناها من مشايخ الطريق فانما استنبطوها من الكتاب العزيز ، ولكن ليس كل ما فى الكتاب العزيز يعرفه كل احد ؟ فكل يعترف بقدر انائه ، وما نقصت قطرة من مائه .

ولقد كان السلف يستنبطون ما يقع من الحروب والغلبة ، من الكتاب العزيز ، ولقد استنبط ابن برجان(٤٤) رحمه الله من الكتاب العزيز ، فتح القدس على يد صلاح الدين فى سنته ،واستنبط بعض المتاخرين من سورة الروم ، اشارة الى حدوث ما كان بعد [سنة] ثلاث وسبعمائة وستمائة ،

---

(٤٣) سورة طه آية ٥ .

(٤٤) هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمى الاشبيلى ابو الحكم متصوف من مشاهير الصالحين له كتاب مخطوب فى تفسير القرآن اكثر كلامه فيه على طريق الصوفية ولم يكمله وشرح اسماء الله الحسنى/مخطوط » توفى بمراكش ٥٣٦هـ الاعلام للزركلى ج ٤ : ٦ . المحقق .

ولقد استنبط كعب الأحبار (٤٥) رضى الله عنه من التوراة أن عبد الله ابن قلابة(٤٦) يدخل ارم ذات العماد ، ولا يدخلها غيره ، وكان يستنبط منها ما يجرى من الصحابة رضى الله عنهم ، وما يلاقيه أجناد الشام ، وذلك مشهور . والله تعالى انزل فى كتابه ما يفهم أحد الخلق منه الكثير ، ولا يفهم الآخر من ذلك شيئا ، ولقد تختلف المراتب من استنباط الأحكام من كلام الفقهاء ، والمعانى من قصائد الشعراء .

ماورد من القرآن فى نفى الجهة :

فأما ما ورد فى الكتاب العزيز مما ينفى الجهة ، فتعرفه الخاصة ، ولا تشمئز منه العامة ، فمن ذلك قوله تعالى : « ليس كمثله شيء »(٤٧) ولو حصرته جهة لكان مثلا للمحصور فى ذلك البعض .

وكذلك قوله تعالى : « هل تعلم له سميا » (٤٨) قال ابن عباس(٤٩)رضى

---

(٤٥) هو كعب بن ماتع الحمدى ابو اسحاق مخضرم . أسلم فى خلافة أبى بكر وقيل بعد ذلك . وتوفى فى خلافة عثمان سن ٣٢هـ وقيل بعدها ثقة . فى التقريب . التهذيب ٤٣٨/٨ : ٤٤٠ ، ١٣٥/٢ .

(٤٦) لم اقف على ترجمته الا ان يكون هو عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمى ابو قلابه وهو عالم بالقضاء والأحكام ناسك من أهل البصرة ارادوه على القضاء فهرب الى الشام فمات فيها سنة ١٠٤هـ — ٧٢٢م وكان من رجال الحديث الثقات . المحقق .

(٤٧) سورة الشورى آية ١١ .

(٤٨) سورة مريم آية ٦٥ .

(٤٩) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى ٣ ق . الحجرة ٦٨ هجرية . أبو العباس حبر الأمة . الصحابى الجليل ولد بمكة ونشأ فى بدء عصر النبوة فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة . كف بصره فى آخر عمره فسكن الطائف وتوفى بها قال بن مسعود : نعم ترجمان القرآن بن عباس — الاعلام للزركلى ج ٤ : ٩٥ . المحقق .

الله عنه : هل تعلم له مثلا ؟ ويفهم ذلك من « القيوم »(٥٠) وبناء المبالغة ، في انه قائم بنفسه ، وما سواه قائم به ، فلو قام بالجهة لقام بغيره . ويفهم من قوله تعالى : « المصور » لأنه لو كان في جهة لتصور ، فاما أن يصور نفسه أو يصوره غيره ، وكلاهما محال .

ويفهم من قوله تعالى : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية »(٥١) ولو كان على العرش حقيقة لكان محمولا .

ويفهم (٥٢) من قوله تعالى : « كل شيء هالك الا وجهه » (٥٣) والعرش شيء يهلك ، فلو كان سبحانه وتعالى لا في جهة ثم صار في جهة [ثم صار لا في جهة](٥٤) لوجد التغير وهو على الله محال .

---

(٥٠) يفهم المصنف من هذا الاسم أمرين الأول : من اطلاق لفظ القيوم يفهم المصنف منه ما فهمه من قوله تعالى « هل تعلم له سميا » أى أن معنى القيوم أن لا يكون لله مثل فهو قائم بنفسه وغيره قائم به والقائم بنفسه واحد لا مثيل له . والقائم بغيره متعدد والأمر الثانى أنه يفهم من المبالغة في لفظ القيوم الذى هو — مبالغة في قائم — يفهم بن جهبل من هذه المبالغة أن الله لا يحتاج الى غيره وهذا ينفى القول بالجهة اذ لو قلنا بالجهة بالنسبة الى الله لاحتاج الله اليها وهذا ينافى المفهوم من لفظ القيوم ومدلوله الذى يفيد أن الله يقوم بذاته ولا يحتاج الى غير ويقوم غيره به فتأمل . المحقق .

(٥١) سورة الحاقة آية ١٧ .

(٥٢) الضمير المستتر الذى هو نائب عن الفاعل في هذا الموضع والذى قبله يعود على القول بنفى الجهة والذى سبقت هذه الآيات « للدلالة عليه » . المحقق .

(٥٣) سورة القصص آية ٨٨ .

(٥٤) يرى بن جهبل هنا أن العرش حادث من العدم وأنه سائر الى العدم بمقتضى قوله تعالى « كل شيء هالك الا وجهه » والعرش شيء فسوف يهلك بمقتضى هذا النص وعليه فان الله قبل العرش الذى حمل على معنى الجهة كان موجودا ولو قلنا بنسبة الجهة اليه لانتقل الى العرش بعد وجوده

والمدعى(٥٥) لما علم أن القرآن طافح بهذه الأشياء ، وبهذه الاشارات ، قال : [هذه الأشياء دلالتها كالالغاز] .

أو ما علم المغرور ان اسرار العقائد التى لا تحملها عقول العوام لا تأتى الا كذلك ، واين فى القرآن ما ينفى الجسمية الا على سبيل الالغاز ؟ وهل تفتخر الأذهان الا فى استنباط الخفيات ، كاستنباط الشافعى رضى الله عنه الاجماع من قوله تعالى : « ويتبع غير سبيل المؤمنين »(٥٦) وكاستنباط القياس من قوله تعالى : « فاعتبروا يا أولى الابصار »(٥٧) وكما استنبط(٥٨) الشافعى خيار المجلس من نهيه ﷺ عن البيع على بيع أخيه .

ثم عاد الى ما كان عليه بعد فناء العرش . والانتقال الى العرش والعود عنه تغيرات طارئة لا تليق الا بالحوادث والله منزه عنها . والقائلون بالجهة حاولوا حل الاشكال الأول وهو حدوث العرش فقالوا انه ما من عرش الا وخلق الله قبله عرشا لنفسه هكذا بغير نهاية لكننا نعتقد ان هذا الحل حل سفسطائى لا معنى له كما تغلبوا ايضا على فناء العرش فقالوا ان العرش لا يفنى وقوله تعالى « كل شىء هالك الا وجهه مؤولا على تقدير محذوف والأصل فيها على رايهم كل شىء زاد الله هلاكه هالك الا وجهه والعرش لم يرد الله هلاكه ونحن نعجب من هؤلاء الذين يرفضون التأويل كيف يؤولون قال صاحب الطحاوية ... وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط قبل شىء وفرقه وقد اعجز عن الاحاطة خلقه — شرح الطحاوية ص ٣١٣ . ط . المكتب الاسلامى . المحقق .

(٥٥) عاد لخطاب بن تيمية .

(٥٦) سورة النساء آية ١١٥ .

(٥٧) سورة الحشر آية ٢ .

(٥٨) ما كان الشافعى بحاجة الى الاستنباط فى هذا الباب كما نرى اذ أن الاستنباط عمل العقل وجهد الفكر واجتهاد الفقيه وهذا أمر معمول به فى الفقه والفروع فى كل مسالة لا يكون فيها نص أما عند ورود النص فلا اجتهاد

وزيدة المسالة ان العقائد لم يكلف النبى ﷺ الجمهور منها الا بلا اله الا الله محمد رسول الله ، كما اجاب مالك الشافعى رضى الله عنهما ، ووكل الباقى الى الله ، وما سمع منه ولا عن أصحابه فيها شىء الا كلمات معدودات، فهذا الذى يخفى مثله ، ويلغز فى افادته .

الفصـــل الثانى :

فى ابطال ما موه به المدعى ، من أن القرآن والخبر اشتملا على ما يوهم ظاهره ما يتنزه الله تعالى عنه ، على قول المتكلمين(٥٩) ، فنقول :

مع النص وقد ورد النص بخيار المجلس فى حديث أخرجه البخارى ومسلم والنسائى واللفظ له حيث أخرج بالسند الى عبد الله بن عمر بن الخطاب من طريق نافع قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو يختارا » قال : ابن نافع — « فكان بن عمر اذا ابتاع بيعا وهو قاعد قام ليجب له البيع » .

قال أبو عيسى تعليقا على هذا وفى الباب عن أبى برزة وحكيم بن حزام وعبد الله بن عبـــاس وعبد الله بن عمر وسمره وأبى هريرة .

ـــ سنن الترمذى كتاب البيوع باب ما جاء فى البيعين بالخيار ما لم يتفرقا حديث رقم ١٢٤٥ ج ٣ : ٥٣٨ ط مصطفى البابى الحلبى ـــ القاهرة .

(٥٩) لسنا بحاجة الى التنبيه الى أن ما ورد من ظواهر النصوص عند ابن تيمية وأقرانه ممن يوافقوه على مذهبه لا يسبب لهم قلقلا بل ينسبون مقتضى ظواهر النصوص الى الله عز وجل ولا يرون أنها تناف فكرة التقديس ؛ وعلماء الكلام بل وجمهور الأمة — يرون أن ظاهر النص لو كان ينافى فكرة التقديس قالوا أن ظاهر النص غير مراد والمراد شىء آخـــر وهم أمام هذا المراد على قسمين يرى بعضهم أن هذا المراد لا يعلمه الا الله وابن تيمية يصف الذين ينهون هذا المنحى بانهم جهله مجهلون .

والقسم الثانى : يرون أن هذا المراد يمكن أن نفهمه من النص بعـــد تأويله تأويلا ينـاســـب اللغة العـــربية التى نزل القـــرآن بها ، وابن تيمية يحمل عليهم حملة شعواء اذ انه ياخذ نفسه بمبدأ أن القرآن لا مجاز فيه وتاويل آياته وكذا نصوص السنه أمر مخل بالشريعة . المحقق .

قال الله تعالى : « وهو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هى أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ »(٦٠) الآية : دلت هذه الآية على أن من القرآن محكما ومنه متشابها ، والمتشابه قد أمر العبد برد تأويله الى الله ، والى الراسخين(٦١) فى العلم ، فنقول بعد ذلك : انما لم تأت

---

(٦٠) سورة آل عمران آية ٧ .

(٦١) هذه الآية الكريمة تقرر أن القرآن فيه محكم وفيه متشابه يقابل المحكم ، والمحكم : هو اللفظ الواضح الدلالة الذى لا يحتمل الا شيئا واحدا ، والمتشابه : هو الذى يحمل أكثر من معنى ، والمحكم لا يتأتى المراء والجدال فيه ، والمتشابه ، يتأتى فيه المراد والجدال ، ودعاة الفتنة الدينية فى كل عصر لا يعمدون الى المحكم من آى القرآن الكريم اذ أنهم لا يجدون فيه بغيتهم وانما يعمدون الى المتشابه فيأخذون منه ما يريدون وهم أولئك الذين فى قلوبهم زيغ ، أما أنصار الحق الأبلج فهم يعلمون أن الله انما أنزل المتشابهة ليبتلى الناس به وخلق معه طريقا واضحة ورسم معه منهجا قويما لمن أراد أن يستقيم ، فمن استعصم بالحق رد المتشابه الى المحكم لأنه أم الكتاب وحمل آيات العقائد المتشابهة على ما يفهمه من آيات العقيدة المحكمة ثم هو محكوم أيضا فى جانب العقيدة بقانون عام هو ما سبقت الاشارة اليه ومنه أنه محكوم عقلا بوجوب تقديس الله الخالق المدبر لهذا الكون فاذا استغلق الأمر عليه كان يريد أن يفهم من القرآن أو النص حقيقة مراد الله عز وجل رد ذلك كله الى الله سبحانه اذ أنه لا يعلم مآل كل شىء وحقيقته الا الله ، والعلماء حول قضية المتشابه وامكان فهمه منقسمون فمنهم من يرى أن المتشابه لا يعلمه الا الله ومنهم من يرى أن الله يعلمه والراسخون فى العلم يعلمونه كذلك ويؤيد الرأى الأخير حجة عقلية مفادها أن خطاب الله عز وجل للناس يجب أن يكون مفهوما كله والا فاننا لا نجد معنى لخطاب الناس بما يجهلون .

وكما اختلفوا فى امكان فهم المتشابهه للناس اختلفوا كذلك حول كم المتشابه من آيات القرآن الكريم ، فبعضهم ضيقة الى حد أنه لا يشمل سوى الحروف المقطعة فى أوائل السور وزاد البعض فقال : هى الحروف

النبوة بالنص ظاهرا على المتشابه ، لأن جل مقصود النبوة هداية عموم الناس ، فلما كان الأكثر محكما ، والجمت العامة عن الخوض فى المتشابه حصل المقصود ، لولا أن يفيض الله تعالى لهم شيطانا يستهويهم ويهلكهم ولو أظهر المتشابه لضعفت عقول العالم عن ادراكه .

ثم من فوائد المتشابه رفعة مراتب العلماء بعضهم على بعض ، كما قال تعالى : « وفوق كل ذى علم عليم »(٦٢) وتحصيل زيادة الأجور(٦٣) بالسعى فى تفهمها وتفهيمها وتعلمها وتعليمها .

المقطعة والأقسام والأمثال المقطعة فى أوائل السور وزاد البعض فقال : هى الحروف المقطعة والأقسام والأمثال وتوسع آخرون فقالوا : ان المتشابه كل آية تحتمل أكثر من معنى سواء كان ذلك فى الأصول أم فى الفروع وعلى اى نحو كان ما نراه فان الآية قررت بأن هناك متشابه فى مقابل المحكم وأن المتشابه يفهمه الراسخون فى العلم على أرجح الآراء وعندهم من الله عواصم ومناهج تمنعهم من الذلل وتعصمهم من الفتن القواصم ، ومن كان فى قلوبهم مرض تتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله على نحو ما يريدون وتلك اشارة من ابن جهبل يلفت النظر من خلالها الى قاعدة الاختلاف وابتداء الزيغ نسأل الله العصمة من الزيغ . المحقق .

(٦٢) سورة يوسف آية ٧٦ .

(٦٣) يثير بعض العلماء قضية هامة فى مثل هذا الموقف تلخصها هذه المسألة والاجابة عليها وهى مسألة اساس الأجر والثواب هل يزيد الأجر بقدر المجهود الذى يبذل أم أن الأجر مرتبط فى زيادته بزمان معين وأمكنه مخصوصة أم أن المسألة برمتها راجعة لفضل الله عزوجل؟وحينماتراجع هذه المسألةوالاجابات على هذه التساؤلات فى مظانها من كتب أهل العلم تجد خيرا وتستشعر المتعة الكاملة راجع نحو كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودى وهو يتحدث عن البقعة التى دفن فيها النبى ﷺ وبيان فضلها . المحقق .

وأيضا لو كان واضحا جليا مفهوما بذاته ، لما تعلم الناس سائر العلوم ، بل هجرت بالكلية ، ووضح الكتاب بذاته(٦٤) ، ولما احتيج الى علم من العلوم المعينة على فهم كلامه تعالى ، ثم خوطب فى المتشابه بما هو عظيم بالنسبة اليهم ، وان كان الأمر أعظم منه ، كما نبه عليه عبد العزيز الماجشون فى القبضة(٦٥) ، وكما قال تعالى في نعيم أهل الجنة « فى سدر مخضود . وطلح منضور . وظل ممدود وماء مسكوب » (٦٦) الآية

فهذا عظيم عندهم ، وان كان فى الجنة ما هو أعظم منه ، ، كما قال ﷺ ، حكاية عن الله عز وجل ، « أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »(٦٧) .

---

(٦٤) لكى يفهم الانسان القرآن الكريم لابد من احاطته اولا بعلوم كثيرة منها علوم اللغة العربية بما لها من فروع وتشعبات وعلوم القرآن الكريم بما لها من أقسام وفروع وعلوم الفقه وأصوله وكذا علوم السنة ومناهجها وفى تعلم هذه العلوم وأمثالها حياة الانسان ومكوناته الذاتية ولو كان القرآن واضحا بذاته كما يرى ابن جهبل لتخفف المرء من معظم هذه العلوم . فتأمل حكمة الله البالغة .

(٦٥) سبق ترجمته ونقل نصوصه . المحقق .

(٦٦) الواقعة ٢٨ — ٣١ .

(٦٧) هذا لفظ البخارى بالسند الى أبى هريرة ك التوحيد باب : — قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ج ٨٤٩٨ . ج١٣/٤٦٥ .

ونحن نستطيع أن فهم من هذا الحديث والآية قبله ما يدعم القاعدة التى سبق الاشارة اليها وهى أن هناك اسم ومسمى ولا يلزم من الاشتراك فى الاسم الاشتراك فى المسمى فأنا موجود والله موجود هذا اشتراك فى الاسم ولكن المسمى مختلف فتعين وجود الله غير تعين وجودى بالقطع وكل مثل هذا فى جميع ما بيننا وبين الله من اشتراك فى الاسم واختلاف فى المسمى ولكى تستطيع أن نتصور ذلك نتأمل نعيم الجنة ، ان فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن

=

نسأل الله العظيم ان يجعل فيه قرارنا ، وان ينور بصيرتنا وابصارنا ، وان يجعل ذلك لوجهه الكريم ، بمنه وكرمه .

ونحن ننتظر ما يرد من تمويهه وفساده (٦٨) لنبين مدارج زيفة وعناده ، ونجاهد فى الله حق جهاده ، والحمد لله رب العالمين .

تم بحمـــد اللـــــه

= سمعت ولا خطر على قلب بشر وفى نفس الوقت قرب الله لنا ذلك بأشياء نعرفها ففيها أنهار من ماء وانهار من عسل وانهار من خمر ... وفيها سدر مخضود وطلح منضود ... وفيها الظل ولحم الطير ... الخ وهذا النعيم يشارك نعيم الدنيا فى الاسم ولكنه يخالفه فى المسمى فاذا تصورنا هذا فى مخلوقات الله فالأحرى بنا أن نفهمه فيما بيننا وبين الله من اشتراكات فى الأسماء واختلاف فى المســـــميات . المحقق .»

(٦٨) يعنى ابن تيمية حيث كان معاصرا له يتتبع خطواته فى العـــلم وما فيها من زيغ عن المنهج . المحقق .

كتب للمحقق

١ ــ الاخلاق فى اطار النظرة التطورية :
الجزء الأول فى الأخلاق اليونانية (مطبوع) .

٢ ــ الأخلاق فى اطار النظرة التطورية :
الجزء الثانى فى الأخلاق من منظور اسلامى (مطبوع) .

٣ ــ نظرية النبوة فى الاسلام :
مطبوع .

٤ ــ عقيدتنا واثرها فى الحياة والكون والانسان :
مطبوع .

٥ ــ البهائية وسائل وغايات :
مطبوع .

٦ ــ مشكلة الالوهية بين الشهرستانى وابن سينا :
مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة .

٧ ــ مصارع المصارع للطوسى :
مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة .

٨ ــ نظرية الشخصية عند الغزالى :
مخطوط بمكتبة كلية اصول الدين بالقاهرة .

كتب تحت الطبع للمحقق

١ ــ اسلامنا .
٢ ــ المجتمع الاسلامى فى عصر المبعث .
٣ ــ القاديانية .
٤ ــ الاعتبار ببقاء الجنة والنار للسيوطى [تحقيق] .

رقم الايداع بدار الكتب ٢٩٢٣ لسنة ١٩٨٧

مطبعة الفجر الجديد
٣٨ شارع الكبارى ــ منشية ناصر

هـــذا الـــكتاب

يعالج هذا الكتاب قضية هامة مطروحة على الساحة الفكرية الآن ، وقد طرحت فى الماضى على الساحة الفكرية بنفس الإلحاح . وكانت ولاتزال موضع جدل بين العلماء ونقاش مستمر لم ينقطع ، وكانت كغيرها مما يشابهها من القضايا ذات اثر ضخـــم فى التفريق بين صفوف المسلمين من غـــير داعى وهذه القضية التى يعالجها هذا الكتاب هى قضية الجهة بالنسبة لله عزوجل بين القائلين بها والمنكرين لها . وقد تحمس لإثبات الجهة لله عزوجل رجال ابرزهم فى العصور المتاخرة ابن تيمية وابن القيم والذهبى المعاصر لهما . وقد اختلف مع هذا الفريق جمهور الأمة فى حينه وجرت هذه القضية وغيرها بلاء كثيرا على القائلين بها حين أستشعر علمـــاء الأمة ان القول بهذه الفـــكرة فيه انتقاص من تنزيه البارى عزوجل ومايجب له من الكمال .

وكان من بين الذين تحمسوا للرد شهاب الدين ابن جهبل حيث خصص رسالة الرد على الفتوى الحموية التى كرس ابن تيمية جهده لإثبات الجهة لله عزوجل من خلالها .

وتميز اسلوب ابن جهبل بالرصانة والهدوء والتزام الموضوعية فى مناقشة هذه الفتوى .